ريكس ورنر

فلاسفة الإغريق

Telegram:@mbooks90

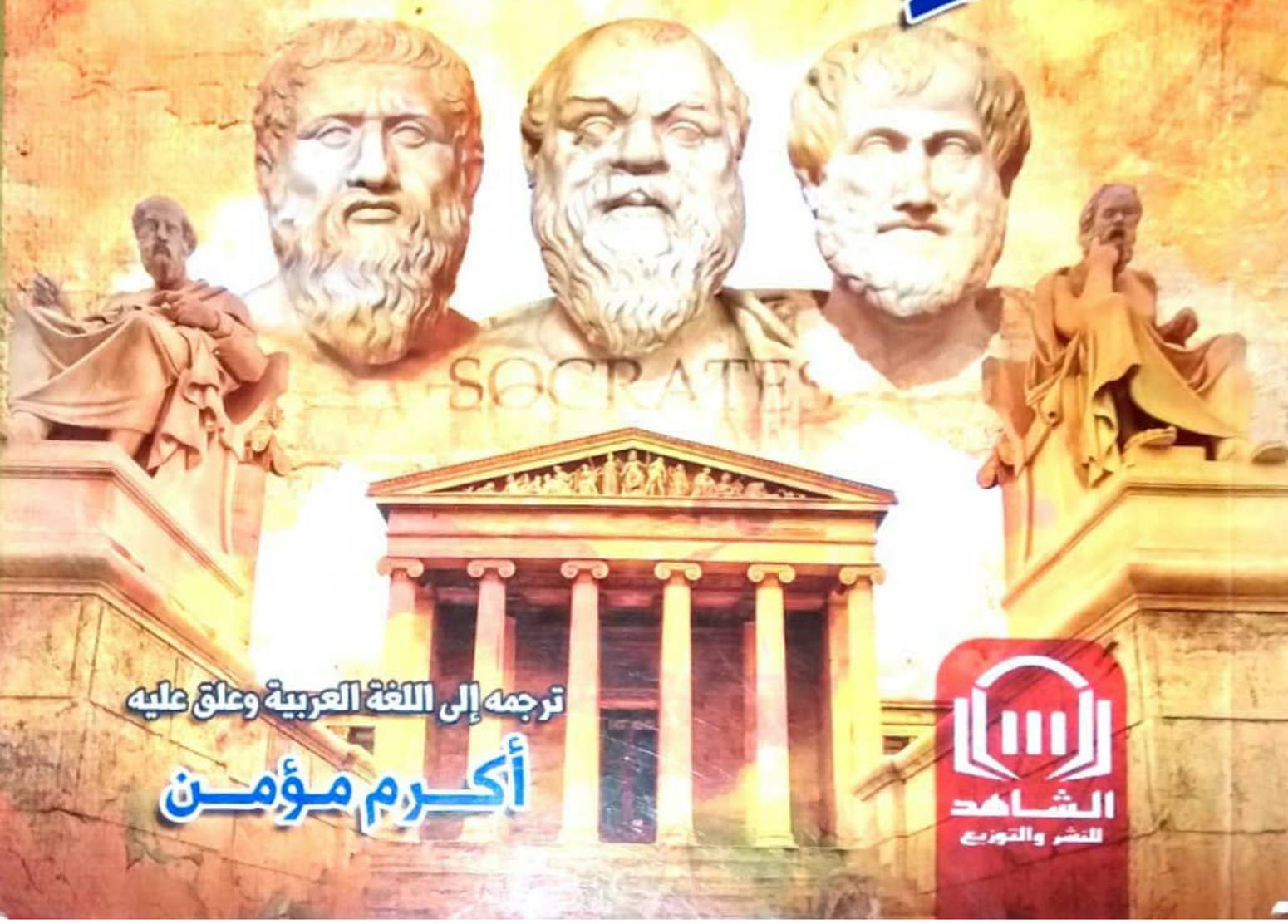

ترجمه إلى اللغة العربية وعلق عليه

أكرم مؤمن

الشاهد
للنشر والتوزيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ريكس ورنر

فلاسفة الإغريق

Telegram:@mbooks90

ترجمه إلى اللغة العربية وعلق عليه

أكرم مؤمن

الشاهد
للنشر والتوزيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورنر ، ريكس.
فلاسفة الإغريق / ريكس ورنر ، ترجمها الى العربية
وعلق عليها أكرم مؤمن
القليوبية : دار الشاهد للنشر والتوزيع ، ٢٠٢١.
١٧٦ ص٢٠١ سم
تدمك: ٤ ٢ ٨٥٨٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الفلاسفة اليونانيون
٢ـ الفلسفة اليونانية
أ ـ مؤمن ـ أكرم (مترجم ومعلق)
ب ـ العنوان
٩٢١,١

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٥٨١٦
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 85868 - 2 - 4

تصميم الغلاف الفنان: أحمد عبداللطيف

© 2021

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

الشاهد
للنشر والتوزيع

العنوان: ٨ب شارع الشيخ عليش - حمامات القبة- القاهرة
تليفون: ٠١٠٠٥١٨٤٤٨٤ (٠٢)
8B Alshakh Elish - Hamamat Elkobba- Cairo
E-mail: elshahed068@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
للناشر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة بقلم المترجم

في كتاب «فلاسفة الإغريق» قدم لنا ريكس ورنر نظرة شاملة على الفلسفة الإغريقية القديمة. فتحدث عن فترة ما قبل سقراط؛ واستعرض فيها أهم الفلاسفة السابقين له بطريقة موجزة وشاملة. ثم انتقل إلى فترة الثلاثة الكبار (سقراط - أفلاطون - أرسطو) واستعرض حياتهم وفلسفتهم بطريقة موجزة توضح اتجاهات كل منهم. وانتقل بعد ذلك إلى استعراض فترات ما بعد أرسطو انتهاء بأفلوطين.

وفي هذا الكتاب أقدم ترجمة موجزة وشاملة لكل الموضوعات التي تناولها ورنر في كتابه. وهو موجه للقارئ المثقف غير المتخصص في الفلسفة. فقد لاحظت أن هناك كثيرًا من القراء المحبين للقراءة في هذا المجال رغم عدم تخصصهم فيه، وهذا أمر طيب. لذلك أقدم لهم هذه الترجمة المبسطة المناسبة للجميع. على أني اتبعت أسلوب الاختصار غير المخل؛ أي أنني أختصر في داخل الموضوع ولا أغفل موضوعات كاملة حتى تأتي الترجمة شاملة لكل موضوعات الكتاب الأصلي وهو نفس المنهج الذي اتبعته في ترجمة واختصار أكثر من كتاب من كتب الفلسفة مثل: «قصة الفلسفة» و«مباهج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفلسفة» لـ»ول ديورانت» و»محاورة فايدروس» لأفلاطون وغيرها من كتب في نفس المجال.

وفي هذا الكتاب لم ألجأ إلى الاختصار إلا في تلك الموضوعات التي أسهب فيها ورنر بشدة. وقد أشرت إلى بعض مواضع الاختصار في حواش سفلية. كما أضفت عدة عناوين جانبية ليست موجودة في الأصل الإنجليزي؛ وذلك لمساعدة القارئ على الانتقال من موضوع إلى آخر وتجنبًا للملل.

على أني لم أعلق على شيء في الكتاب إلا في هامش سفلي أذيله بكلمة (المترجم) ليلاحظ القارئ أن هذا هو تعليقي أنا على الموضوع وليس تعليق المؤلف. والتعليق الذي أضيفه في الحاشية إما لتوضيح معنى أو شرح موضوع أو للتعريف بشخصية أو للتعليق على أمر يخص العقيدة. كما قدمت ما كتبه المؤلف من تذييلات -وهي قليلة جدًا- كما هي دون تلميح للمؤلف في آخر التذييل.

لم استخدم ترقيم مقتطفات من أعمال وأقوال الفلاسفة كما ورد في كتاب ورنر لأنه ذكر المقتطف بالرقم الذي ورد به في المراجع التي استخدمها فجاءت الأرقام غير مسلسلة مما قد يربك القارئ. فاستبدلتها بأرقام مسلسلة حتى لا يظن القارئ أن هناك فقرات مفقودة أو مختصرة.

أطيب أمنياتي للقارئ بقراءة ممتعة ،،،

أكرم مؤمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان ريكس ورنر (1905-1986م) كاتبًا ومترجمًا وفيلسوفًا إنجليزيًا كلاسيكيًا. وكان أبوه قسيسًا وقد تلقى تعليمه في أكسفورد. وهناك التقى مع كتاب معروفين مثل و. هـ أودن وسيسل داي لويس وغيرهما ونشر أشعارًا هناك في تلك الفترة. وفي عام 1925م تخرج وقضى بعد ذلك فترة عمل فيها بالتدريس، وفي فترة التدريس هذه سافر إلى مصر للعمل هناك. وقد ظهرت قصته «إجازة» لأول مرة في عام 1930م. وظهرت أولى دواوينه الشعرية في عام 1937م. وقد ألف بعد ذلك وترجم الكثير من الكتب ومن بينها هذا الكتاب الذي بين يديك الآن وقد ألفه بغرض إعطاء القارئ الإنجليزي فكرة شاملة عن الفلسفة الإغريقية.

وخلال الحرب العالمية الثانية عمل ورنر في الحرس الوطني وفي نفس الوقت عمل في تدريس اللغة اللاتينية في مدرسة في موردن وكانت المدارس تعاني من نقص شديد في المعلمين في ذلك الوقت. وخلال الفترة من 1945-1947م عمل مديرًا للمعهد البريطاني في أثينا. وفي تلك الفترة عمل في العديد من أعمال الترجمة للمؤلفين الإغريقيين الكلاسيكيين. وقد تزامن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجود ورنر في أثينا مع الفترة الأولى من اندلاع الحرب الأهلية هناك، وقد انتهت بهزيمة الشيوعيين وقمعهم. وقد أدى ذلك إلى ظهور كتابه «رجال من حجارة: ميلودراما» في عام 1949م.

وقد عمل ورنر بالكتابة والترجمة طوال حياته إلى أن توفى في عام 1986م. والكتاب الذي بين يديك الآن من أشهر ما كتب خارج مجال الأعمال الأدبية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصدير المؤلف

حاولت في هذا الكتاب تقديم موجز مفيد للقارئ عن الفلسفة الإغريقية منذ نشأتها في أيونيا إلى أن انهارت في عهد الإمبراطورية الرومانية. وقد أتحت فرصة لكل فيلسوف من الفلاسفة ليتكلم عن نفسه. وهذا الموضوع كبير جدًا ويجب على القارئ أن يدرك أن هذا الكتاب ما هو إلا عرض موجز. وقد أوليت أفلاطون وأرسطو اهتمامًا خاصًا، فأعمالهما كانت شديدة الأهمية سواء من حيث الكم أو القيمة. وهذا يستدعي ضرورة أن أوضح هذا الاهتمام دون أن أخصص لهما مزيدًا من الصفحات. والسبب في ذلك هو أنني كتبت عنهما أعمالاً خاصة تتجاوز صفحات هذا الكتاب.

وعندما بدأت في تأليف هذا الكتاب وجدت من صديقي الأستاذ جيفوري ورنوك في كلية ماجدالين في أكسفورد كل دعم ومشورة وتوجيه. فإن كان في الكتاب من تميز فالفضل في ذلك يرجع إليه، وإن كان فيه هنات هنا وهناك فهذا مني.

ريكس ورنر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفلاسفة السابقون لسقراط

الفصل الأول

1 - التجديد الكبير

وضح الاغريق من بين ما وضعوا علم الفلسفة وقد عاش بعضهم على سواحل جنوب إيطاليا في بداية القرن السادس. وخلال القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد أصبحت أثينا مركزًا هامًا من مراكز الفكر. وفي ذلك الوقت كانت العلوم والفلسفة يدرسان في جميع أنحاء العالم الإغريقي. وكانت هذه الدراسات تشكل حضارة روما، كما شكلت في كثير من جوانبها اللاهوت الكنسي وسلوكيات الكنائس. وقد أعيدت تلك الدراسات للحياة مرة أخرى في عصر النهضة فغيرت الجنس البشري بالكامل.

وقد يكون من المبالغة أن نقول إن قبل طاليس المالطي كان البشر غير قادرين على التفكير السليم، لكنها عبارة قد تكون صادقة إلى حد ما. فقبل طاليس لم يطرح أحد تلك الأسئلة المحددة التي نتج عنها العلم والفلسفة. ومن هذه الأسئلة ما يلي:

- مم يصنع كل شيء؟
- كيف خلقت الأشياء؟
- كيف تتغير؛ وكيف تفنى؟
- ما هو ذلك الجوهر الدائم الذي يكمن خلف المظاهر؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أدت هذه الأسئلة بالتأكيد إلى مزيد من الأسئلة المرتبطة بوجود الله وقوانين الطبيعة وواجبات الإنسان والهدف من حياته على الأرض. وكان التجديد في أمرين اثنين وهما: طريقة توجيه الأسئلة وافتراض طريقة للإجابة عليها. وكان من المفترض لأول مرة في التاريخ أن يتناول الباحث العالم كله؛ أي الكون؛ بالدراسة والتدقيق فيعرف القوانين التي تحكمه والتي يمكن التوصل إليها بالتفكير المنطقي والملاحظة.

وبالطبع فإن هذا الافتراض -إلى حد ما- قد طُرح من قبل. حيث لا يمكن أن تكون هناك حضارة قائمة إن لم يكن هناك إيمان بها. فالربيع يأتي بعد الشتاء بلا شك. وقد أتت حضارة ما بين النهرين والحضارة المصرية باكتشافات قيمة قامت على مشاهدات للطبيعة وحركتها المنتظمة وكانت الحضارة الإغريقية القديمة على علم بها. كما كان البابليون قادرين على التنبؤ بالكسوف رغم جهلهم بأسبابه الحقيقية. ولم يتمكنوا من تأكيد ما إذا كان كسوف ما للشمس يمكن مشاهدته من بابل أم لا. وتعددت التفسيرات للكسوف والخسوف معًا؛ فهناك من رأى أنها فألاً حسنًا وهناك من اعتبرها من السحر والطقوس الدينية.

وقد كتب الشاعر الروماني لوكريتس عن ذلك وكان معاصرًا ليوليوس قيصر. وكانت كتابته هذه بعد مرور 500 عام على تلك الثورة الفكرية؛ يقول:

«في وقت ما كان الناس يعيشون حياة بائسة ترزح تحت عبء ضخم من الخرافات. وهذه الخرافات التي قد يراها البعض دينًا كانت تقوم على ازدراء الإنسان وحياته الدنيا. وقد كان رجل من بلاد الإغريق هو أول من يجرؤ على مناقشة تلك القصص والخرافات سعيًا للوصول إلى الحقيقة. وفي تلك الرحلة استطاع ذلك الرجل أن يجول في اللانهائية ويعود إلينا بثمرة انتصاره وهي معرفة ما يمكن أن يوجد في الكون وما لا يمكن أن يوجد. وكذلك تحديد كل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القوى المحيطة بالإنسان إلا أنه لم يتطرق من قريب أو من بعيد لموضوع الدين. وهكذا رفع البشر بفكره إلى عنان السماء.»

لا شك أن كلام لوكريتس هذا كان عن أبيقور. إلا أن أبيقور لم يكن الوحيد الذي تجرأ على ذلك في عصره. فقد كتب لوكريتس أيضًا في نفس الموضوع إلا أنه كان مرتدًا عن دينه وشديد المغالاة. لذلك فليس من الصحيح أن الفلسفة الإغريقية كانت لا دينية بالضرورة. والصورة العامة التي يقدمها لوكريتس لا تبتعد عن الحقيقة. كما توصل طاليس إلى أن هناك جوهرًا أساسيًا في الحياة وهو الماء. لكن الفلسفة لم تتخلص من الخرافات في عصر لوكريتس، لذلك فمن المستحيل أن ينكر أن النصر كان أمرًا محققًا.

لكننا كثيرًا من نجد صعوبة في فهم تلك المذاهب الدقيقة لكثير من أولئك الفلاسفة الأوائل، أو الكشف عنها. وذلك إما لعدم وجود مادة أو بسبب طبيعة الأشياء. ولم يطلق المفكرون الأوائل على أنفسهم لقب «فيلسوف» وقد استغرقوا وقتًا قبل أن يصبحوا علماء في المنطق. إلا أن مفاهيم مثل: الجوهر والمادة والعقل والعنصر والقوة والذرة وغيرها لم تكن معروفة؛ ولم تكن هناك كلمات تدل عليها.

لا ... وبالتأكيد في البداية لم يكن هناك أي تمييز واضح بين الفلسفة والعلم، بل لم يكن هناك تمييز بينهما (بالرغم مما يقوله لوكريتس) وبين الدين. وكانت الأبحاث تدور حول: طبيعة الأشياء - ماهية الأشياء - كيف جاءت إلى الوجود؟ وفي تلك الفترة كتب لوكريتس أفضل كتاباته بعنوان «ثمار النصر».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

2 - طاليس الملطي[1]

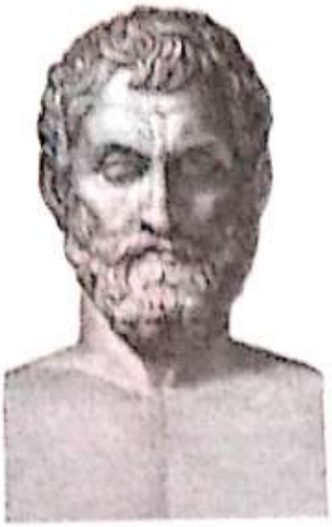

لم يبدأ التجديد الكبير إلا في مدينة ملطية الإغريقية في بداية القرن السادس قبل الميلاد. وكان لتلك المدينة قوة بحرية كبيرة ومستعمراتها تحيط بالبحر الأسود، كما أنشئت أول مستعمراتها في مصر. وهكذا كان الملطيون متميزين عن كافة الإغريق الأيونين، فهم من انفرد بالمغامرة والاستكشاف.

لكن ما نعرفه عن طاليس قليل جدًا، حيث يقول عنه هيرودوت إنه اقترح خطة لتوحيد الولايات الإغريقية الأيونية تكون مدينة تيوس عاصمة لها. وقد تناول كثير من المفكرين القدامى نفس الفكرة، ويروى عن طاليس أيضًا أنه سقط في بئر أثناء مراقبته للنجوم. إلا أن هيرودوت يروي عنه أنه تنبأ بموعد كسوف تمكنوا من مشاهدته في آسيا الصغرى عام 585 ق.م. إلا أنه كان يجهل تمامًا السبب الحقيقي وراء حدوث الكسوف أو الخسوف. أما ما قيل عنه أنه «أبو الهندسة» فليس هناك أي دليل على أنه كان عالمًا في الرياضيات على أي حال. ربما يكون ذلك بسبب زيارته لمصر وعودته حاملاً مناهج جديدة وطرق علمية للقياس. وهذا هو كل إنجازه في عالم الرياضيات.

---

(1) - طاليس الملطي (624-546 ق.م) هو عالم فلك وفيلسوف يوناني من المدرسة الأيونية، وهو أحد «الحكماء السبعة» عند اليونان. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا تعود أهمية طاليس المالطي إلى ما تركه من تعاليم. وإن بحثنا عن تلك التعاليم نجد أن أرسطو يقول نقلاً عنه: «كل الأشياء تنبئ بوجود آلهة[1]» و«المغناطيس حي طالما به قوة قادرة على جذب الحديد.» لكن بالرغم من ذلك؛ وإن قبلنا بأن نسبة تلك الأقوال إلى طاليس صحيحة؛ فهذا ليس في حد ذاته مبررًا كافيًا لنعتبر طاليس من المُنادين بمذهب الوجود أو الوهية الكون، أو أنه وضع نظرية حول نوع معين من الحياة في المغناطيس.

وهناك عبارة أهم نقلها أرسطو عن طاليس وهي أن الجوهر الأساسي المكون لكل الأشياء هو الماء. لكننا لا نعرف أي شيء عن طريقة توصله إلى هذا المبدأ. كما أن الأسطورة القديمة تقول إن المحيط هو أصل كل شيء. المهم أنه عبر عن هذه النظرية بصورة ما. وهكذا نجد أن المسافة بين طاليس والكثير من علماء الفيزياء المحدثين أقل بكثير من المسافة بينه وبين تاريخ الحضارة السابقة له بالكامل.

(1) - سبحان الله تبارك وتعالى عما يصفون. من يقرأ عن أولئك الذين بحثوا في قديم الزمان عن (آلهة) يجد أكثرهم يؤمنون بالتعدد وبعضهم كان يرى بوجود إله واحد، ويقدم لنا القرآن الدواء الشافي لكل هؤلاء في آية واحدة واضحة يفهمها كل ذي عقل دون حاجة لمساعدة، يقول تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ.» (سورة الأنبياء - الآية رقم 22) (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3 - أناكسيماندر

كان اناكسيماندر أول إغريقي يؤلف كتابًا نثريًا. وإن كان ذلك الكتاب قد فقد الآن ولم يعد له أي أثر إلا أنه كان في متناول من جاء بعده من الفلاسفة لفترة من الزمن. وفيما يلي بعض ما ورد في ذلك الكتاب من فقرات ظلت باقية:

1 - هناك جوهر أبدي نشأت منه كل السماوات والعوالم. إنه جوهر الأبدية.

2 - هذا أزلي لا يهرم ويشمل كل العوالم.

3 - الأشياء تنشأ وتزول في نفس الشيء.

4 - هناك حركة سرمدية أدت إلى نشأة العوالم.

5 - أصل الأشياء لا يستند إلى تغيير في المادة، والأضداد هي الأساس.

وله عبارات كثيرة أخرى ترددت في كتابات غيره؛ مثل: السبب المادي - العنصر الأول - الأبدي - غير المحدود. وقد وردت في كثير من تلك الكتابات نقلاً عنه.

ويبدو أن اناكسيماندر قبل ما قاله طاليس من ضرورة لوجود جوهر أول، لكنه تعجب من اختيار طاليس لعنصر الماء. فهو يرى أن الماء مجرد نوع مما حولنا من أشياء. إلا أنه يتميز على باقي الأشياء بأنه تتوفر فيه أغلب الشروط المطلوبة للجوهر الأول.

الجوهر الأول

وحين يرى اناكسيماندر أن الجوهر الأول أبدي ولا محدود؛ فإنه يقصد بالتعبير «لا محدود» أنه ليس له خصائص أو سمات محددة. فذلك الجوهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول ليس رطبًا ولا يابسًا ولا ساخنًا ولا باردًا ولا سائلاً ولا صلبًا. وذلك لأن كل تلك الصفحات وأضدادها لا علاقة لها بالأساس اللامحدود للجوهر الأول.

وهكذا نادى اناكسيماندر بهذا المبدأ بطريقته الخاصة. ولم يكن هناك تمييز واضح في ذلك الوقت ما بين الفلسفة والعلم. وهكذا تسبب اناكسيماندر لأول مرة في تاريخ البشرية في إثارة جدل فلسفي بحت وليس علمي على الإطلاق. فهو يدافع عن مبادئه بالمنطق ولا يمكن أن يثبتها بالتجريب أو بالبراهين. حيث يمكننا أن نتصور أن هناك تجاربًا أجريت لتأكيد أو دحض نظرية طاليس؛ لأن الماء موجود ومنظور، لكن الأبدي واللامحدود ليسا كذلك.

ومن الظريف أن نعلم أن العلم لم يكن من الممكن أن يتطور لولا أن العلماء قد تقبلوا ذلك الجدل غير العلمي الذي قدمه لنا اناكسيماندر. فحتى عهد قريب جدًا لم يكن عند العلماء ما يفيد بأن كل الأشياء المختلفة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا العالم ليست سوى صور لجوهر ما لا يتغير ولا يمكن أن يطابق أي شيء أو عنصر. وبالرغم من عدم وجود دليل على صحة هذا الاعتقاد، استمر العلماء يعتقدون في صحة هذا الرأي تمامًا.

الأبدي

لم يحصر اناكسيماندر نفسه في هذه النظرية فقط، بل كان أول من يحاول رسم الخرائط أو عمل النماذج المجسمة لتصوير حركة الأجرام السماوية وأبعادها، كما درس توالد الحيتان ومن خلال ملاحظته لها قال إن الإنسان في الأصل كان مثل السمك.

وقد كان اناكسيماندر عميق التفكير؛ فهو أول من يتجاوز بتصوراته حدود السماء وليس أبيقور، كما أنه أول من قال إن الأبدي لا حدود له وإن هناك عوالم لا حصر لها انبثقت من ذلك اللامحدود؛ بعضها يمكننا مشاهدته وبعضها يمكننا تصوره. كما كان له بالطبع آراء واضحة فيما له صلة بتلك العوالم والأجرام السماوية الأخرى.

وعلى سبيل المثال كان اناكسيماندر يقول إن الشمس كروية ويبلغ حجمها 28 ضعفًا من حجم الأرض وأنها تشبه العجلة الحربية وتتكون من النار. كما كان يرى أن الأرض اسطوانية لسبب ما وأنها معلقة في الفضاء. وكان له تفسيرات لظواهر مثل الرعد والبرق والرياح. وبصفة عامة كان اناكسيماندر مثالاً رائعًا لذلك التفكير المتميز الجريء، لذلك أعجب به لوكريتس جدًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

4 - أناكسيمينيز

يعتبر أناكسيمينيز ثالث فلاسفة مدرسة ملطية. وليس هناك أي تواريخ محددة يمكن الاعتماد عليها لمعرفة معلومات عن حياته ومولده ووفاته. وكل ما هو مؤكد عنه أنه كان الزميل «الأصغر» لأناكسيماندر. وقد ألف كتابًا مثله، إلا أنه استخدم أسلوبًا أقل شاعرية من أنكسيماندر على ما يبدو. ومن أهم ما نسب إليه من أقوال؛ ما يلي:

1 - قال أناكسيمينيز الملطي مثلما قال زميله، إن الجوهر الأساسي واحد، وأبدي. إلا أنه لم يقل إنه لا محدود مثلما قال زميله أناكسيماندر. بل محدد وهو الهواء.

2 - وقال أيضًا أن من الهواء نشأت منه الأشياء الموجودة والتي ستوجد، ومنه نشأت الأشياء المقدسة، ونشأت باقي الأشياء من أنسالها.

3 - مثلما يفعل الهواء في الإنسان؛ ويبقيه حيًا بالتنفس؛ يفعل نفس الشيء في العالم أجمع.

4 - وشكل الهواء كما يلي: عندما يكون أكثر حدة لا نراه. وعندما يكون باردًا أو ساخنًا رطبًا أو متحركًا؛ فإنه يصبح محسوسًا. والهواء دائم الحركة، وإن لم يتحرك سيتغير بشدة، لذلك فهو يتحرك.

5 - يظهر الهواء في صور متعددة؛ تختلف من حيث الوزن والكثافة.

6 - عندما يتمدد الهواء تقل كثافته، فيصبح نارًا. ومن جهة أخرى؛ فإن الرياح هواء مكثف والسحاب هواء ملبد. ومع تزايد التكثف يصبح ذلك الهواء ماء. والماء إن تكثف بشدة يتحول إلى تراب، وإن زاد التكثف إلى أقصى حد ممكن يتحول التراب إلى صخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن قارنا ما بين أناكسيمينيز وأناكسيماندر؛ فقد يكون تمييزنا العنصري ما بين فيلسوف وعالم تمييزاً له فائدته. وذلك لأن أناكسيمينيز كان عالمًا أكثر منه فيلسوفًا إذا ما قورن بسلفه. فقد اهتم بكيفية عمل الأشياء أكثر من اهتمامه بكنهها. لذلك لم يحاول الإجابة على السؤال الذي طرأ على ذهن أناكسيماندر؛ حيث بدأ أناكسيماندر في التفكير في ماهية المادة التي تتكون منها صورة أي شيء. وإن كان لهذا السؤال من إجابة فإن تلك المادة ستكون مادة مطلقة وغير محدودة.

أما السؤال الفريد الذي تميز به أناكسيمينيز؛ فلا يبدو أن جوابه أكثر تأملاً من أي إجابة أخرى، ولابد أن يكون طاليس له نفس الرأي عن الهواء والماء والتمدد. لكن رأي أناكسيمينيز كان أكثر تمشيًا مع ما يدور في نفوسنا. أما ما جاء به من نظريات فيما بعد مثل نظرية «عالم النفس» فقد كانت ذات طبيعة أكثر تصوفًا.

لكن من الغريب ألا يمكن هذا الاتجاه «العلمي» وذاك الأسلوب الواضح أناكسيمينيز من التوفيق كعالم يعادل ما أحرزه أناكسيماندر من شهرة في الفلسفة والأسلوب الشعري. حيث قال أناكسيماندر بأن الأرض اسطوانية ومعلقة في الفضاء لعدم وجود سبب يدفعها في اتجاه ما دون آخر. أما أناكسيمينيز فقد عاد إلى نظرية أن الأرض مسطحة، وما هي وباقي الأجرام السماوية سوى أطباق طائرة في الهواء. ولا يمكننا بالطبع اعتبار أيًا من النظريتين صحيحة إلا أن نظرية أناكسيماندر أكثر تقبلاً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

5 - فيثاغورس

تنتهي المدرسة المعروفة باسم «مدرسة ملطية» بأناكسيمينيز. أما عن تقييم ما حققه هؤلاء الإغريق الأيونيين؛ فهم لم يقدموا كثيرًا من الاكتشافات أو التأملات، ويكفي القول بأن عند وفاة أناكسيمينيز كان الفرس قد حتلوا الشاطئ الإغريقي الآسيوي.

وقد ظهرت المدارس الفلسفية التي أعقبت تلك المدرسة في المدن الإغريقية في جنوب إيطاليا. وكان أولئك الفلاسفة من الأيونيين أيضًا. وكان فيثاغورس[1] أكثرهم أهمية وأقدرهم على المراوغة. وقد استقر في ساموس التي ولد فيها وأسس طائفة يمكن اعتبارها دينية. وربما كان لمن حوله أهدافًا سياسية إلى جانب الأهداف الدينية والفلسفية.

ورغم أن نشاط تلك الطائفة كان محدودًا لفترة ما قد تكون امتدت من 460-400 ق.م. إلا أن أفراد الطائفة استطاعوا نشر أفكارها في بلاد الإغريق. وكان سقراط يعرفهم، وكانوا أيضًا مؤثرين على أفلاطون بلا أدنى شك. لكن من الصعب جدًا أن نحدد ما كان يؤمن به فيثاغورث من أفكار ومن الأصعب أن نعرف ما كان رفاقه يؤمنون به. لكن ما يمكن أن نتأكد منه هو أنه حول الفلسفة إلى معتقد يشبه الدين أو طريقة للحياة. لذلك فهو يختلف تمامًا عن مفكري مدرسة ملطية الذين قدموا لنا أعظم الأمثلة في حب الاستطلاع.

لكن من الأفضل لنا عند تناول أعمال فيثاغورس أن نوضح ما نعرفه عنه

---

(1) - فيثاغورس: (570-495 ق.م) فيلسوف وعالم رياضيات اغريقي، مؤسس الحركة الفيثاغورية ويُعرف بمعادلته الشهيرة (نظرية فيثاغورس). وصلتنا المعلومات عنه من كُتب أُلفت بعد قرون من وفاته، لذلك لا توجد معلومات موثّقة حول أفكاره وأعماله. ولد في جزيرة ساموس وسافر إلى بلاد عديدة منها اليونان ومصر وربما الهند. وأقام في مستعمرة كروتوني اليونانية في إيطاليا حوالي سنة 530 ق.م. حيث أنشأ مدرسة لمناقشة موضوعات فلسفية مختلفة مثل: ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد؟ واهتم فيثاغورس كثيرًا بعدد من الموضوعات العلمية والرياضية والموسيقية، ومنها توضيح العلاقة بين شد الوتر أو ترخيه والنغمة الموسيقية الناتجة عن النقر عليه في فترات منتظمة. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كمعلم دين وما نعرفه عنه كفيلسوف. ولابد لنا في البداية أن نقر بأنه هو وأتباعه لم يوضحوا هذا التمييز بين الأمرين. فكانوا جميعًا يرون أن الفلسفة والرياضيات مفيدتان للنفس لأنهما تمثلان أسمى صور النقاء. لكن يبدو أيضًا أن فيثاغورث هو أول من أشار إلى الحيوات الثلاث.

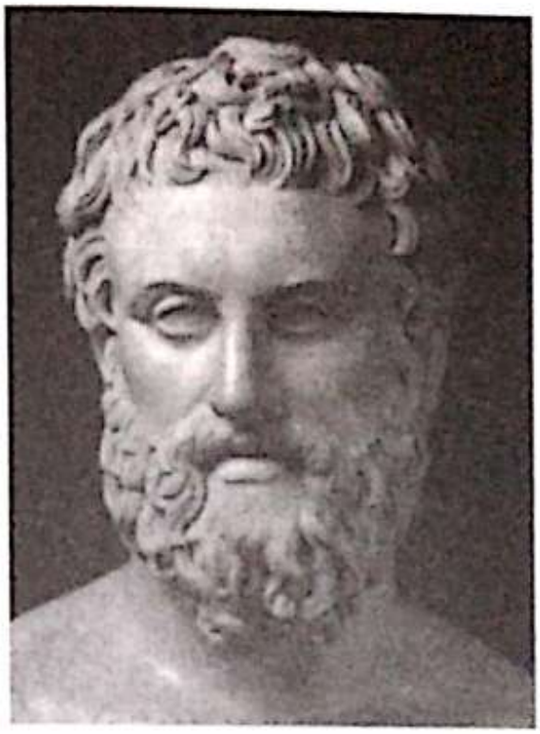

أما المبدأ الديني الفعلي عند فيثاغورث؛ فنحن نعلم عنه الكثير. فكان يؤمن بتناسخ الأرواح أو في ولادتها من جديد، ويقال إنه علم أتباعه أكل لحوم الحيوانات على اعتبار أنها قريبة للإنسان. لكننا لا يمكننا القول بأنه كان يؤمن ببعض المحرمات مثل إمكانية حلول روح شخص من أصدقائنا في جسم حيوان ذبح وقدم طعامًا لنا. كما سمعنا أيضًا عن بعض الوصايا الغريبة المنسوبة إليه؛ مثل:

- لا تأكل البقول.
- لا تلمس الديك الأبيض.
- لا تحرك النار بالحديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- عندما تنهض من فراشك؛ كوّر الأغطية ولا تترك أي أثر لجسدك على الفراش.

الأرقام أساس كل شيء

أنها أمور غريبة. إلا أن أعلى ارتباطات تلك المدرسة التي أسسها فيثاغورس كان مع الموسيقى والرياضيات. وسواء كان فيثاغورث نفسه (أو أحد أتباعه) قد اكتشف برهانًا يؤكد النظرية التي أطلق عليها اسم نظرية فيثاغورث؛ إلا أن احتفاله بذلك مؤكد حيث ذبح ثورًا؛ وهي نظرية تضع كل أسس الحساب والهندسة. وقد تناولتها كتب أخرى بالتفصيل. وهذا ربما يؤكد ما قاله أرسطو عن تلك المدرسة من أنهم يرون أن «الأشياء جميعًا أساسها الأرقام»؛ إلا أنه قول فيه تجاوز على أي حال. وجدير بالذكر أن أرسطو عندما ذكرهم في كتابته قال إنهم «كانوا روادًا في الرياضيات». وقد تحول فيثاغورس فيما بعد إلى شخصية أسطورية.

وقد اعتقد الفيثاغورثيون أنهم وجدوا في الأرقام ما لم يجدوا في النار ولا في التراب أو الماء. إنها أشياء تشابه كل ما في الوجود. وعلى سبيل المثال، تعتمد المقامات الموسيقية ودرجات الأصوات على الأرقام.

وخلاصة الأمر أنهم رأوا أن كل الأشياء بطبيعتها تعتمد على الأرقام، وأن الأرقام هي العناصر الأولى للطبيعة بالكامل. وهكذا اعتبروا أن الأرقام أساس لكل شيء. كما اعتبروا أن العالم بالكامل يقوم على التناسق بين الأرقام. ومن أجل ذلك وضعوا بعض الأمثلة للعلاقات بين السماوات ونظام الكون، وإن وجدوا شيئًا ما ينقصهم لتأكيد نظريتهم أتو به على الفور. ومثال ذلك أنهم يرون الرقم 10 مثالاً للرقم الكامل، وهو يدل على الاكتمال، وعندما وجدوا أن ما يعرفون من الأجرام السماوية 9 فقط ابتدعوا ما أسموه «شبيه الأرض»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليكون الجرم العاشر فتكتمل الأجرام وتصح نظريتهم. ومما وضعوا من أسس في هذا المجال ما يلي:

1 - الأرقام الزوجية هي الأهم ويسمونها لا محدودة أو لا نهائية. والأرقام الفردية يسمونها أرقامًا محدودة ونهائية.

2 - الوحدة تشتمل على كل من الأرقام الفردية والزوجية معًا.

3 - يشكل الرقم العالم المحسوس بالكامل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

6 - أكسينوفانيز

كان اكسينوفانيز[1] من أيونيا أيضًا مثل كثير من الفلاسفة. ويحتمل أن يكون قد غادر مسقط رأسه (سولوفون) أثناء الغزو الفارسي في عام 545 ق.م. وكان في ذلك الوقت في الخامسة والعشرين من العمر. وقضى بقية عمره الطويل (أكثر من 90 عامًا) في المدن الإغريقية الغربية. ويبدو أنه قضى سنواته الأخيرة في صقلية، وقد بقي من أشعاره الكثير.

ويبدو أن اكسينوفانيز كان ناقدًا للآراء أكثر من كونه فيلسوفًا مبدعًا. ولذلك كان لنقده أهمية كبرى. وقد تناول بالنقد كلاً من الآراء الاجتماعية واللاهوتية في عصره.

(1) - أكسينوفانيز (570-478 ق.م.) فيلسوف وشاعر وناقد للفكر اللاهوتي المشرك. وهو من أهم الفلاسفة في مرحلة ما قبل سقراط. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرياضي أهم أم الفيلسوف؟

يقول بندار وهو أحد معاصريه إن المدن الإيطالية الإغريقية كانت تحترم الرياضيين بشدة. وكان الفوز في الألعاب الأوليمبية يضفي على اللاعب مجدًا كبيرًا. ويطبق اكسينوفانيز الحد القاطع للعقلانية على كل من النظرية الاجتماعية والنظرية الدينية، فيقول: «من الواضح أن فننا (يقصد البحث العلمي والكفاءة الاقتصادية والسياسية) أكثر فائدة من قوة أبدان الرجال والخيل.» إنها نفس الفكرة التي سنراها فيما بعد عند اسخليوس والتي ترى أن الإدارة في المستقبل ستكون لمن يملك الذكاء وليس لمن يملك القوة.

توحيد ... في عصر الشرك

والجدير بالذكر أن أعظم نقد صادر عن اكسينوفانيز كان ذلك النقد الموجه إلى الآراء الأسطورية الراسخة عن (الآلهة). وفيه هجوم واضح على وصف الآلهة بصفات البشر، وهو أمر لا يحتاج إلى شرح. وفيما يلي بعض نقاط نقده التي ذكرها بيرنت في كتابه «الفلسفة الإغريقية»:

1 - وصف هومير وهسيود للالهة بكل الخصال التي تعني الخزي والعار بين البشر مثل السرقة والفسق والخداع.

2 - اعتقاد البشر أن الآلهة مخلوقات مثلهم يرتدون ملابس ولهم مثل صورهم واصواتهم.

3 - رأى أنه لو كان للخيول والأسود قدرة على الرسم لرسموا (الآلهة) على أشكالهم أيضًا وفي ذلك سخرية مما يفعله البشر.

4 - الأثيوبيون يجعلون آلهتهم ذوي أنوف مفطوسة، والرواقيون يرون أن للآلهة عيون زرقاء وشعر أحمر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحدة الوجود

ويبدو أن هذا التصور من جانب اكسينوفانيز قد أدى إلى اتخاذه صورة من صور مذهب وحدة الوجود، وفيما يلي بعض آراءه التي تثبت ذلك:

الإله واحد[1]، وهو الأعظم. ولا مثيل له بين البشر لا في صورته ولا في التفكير.

5 - الإله بصير بالجميع وعالم بأحوالهم، وسميع للكل.

6 - الإله يوجه الجميع دون أن يكل ويقدر الأشياء كلها.

7 - الإله موجود في مكانه دائمًا ولا يليق به أن يتحرك هنا وهناك، فشأنه أعظم من ذلك.

ويبدو أن تلك الآراء من 5-8 توضح مدى التطوير في التفكير الذي سبق التعبير عنه في الفقرات السابقة (1-4). وقد أدى ذلك بالمفكرين الذين جاءوا بعد ذلك وأهمهم بارمينيدز بمنهج فلسفي قائم على فكرة التوحيد. ويمكننا أن نقول إن اكسينوفانيز أفضل ناقد لتلك الآراء الدينية التي ظلت راسخة لفترات طويلة.

(1) - توصل هذا الفيلسوف إلى توحيد الله عز وجل؛ فكان سابقًا لكل من عاش في عصره. حيث كان الشرك وتعدد الآلهة فكرة سائدة في ذلك العصر. وما هذه النقاط (5-8) إلا دليل على إمكانية أن يتوصل عالم أو دارس أو فيلسوف إلى التوحيد إن استقام فكره. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

7 - هيراقليطس

ما نعرفه عن حياة هيراقليطس قليل جدًا، لكن يبدو أنه كتب مؤلفاته في عام 500 ق.م. ويقال إنه بدلاً من نشرها أودعها في معبد آرتيميز في مسقط رأسه. وكان في تلك الكتابات يقلل من شأن غيره من الفلاسفة. وكان على يقين تام من أنه اكتشف ما تحاشاه الجميع في قديم عصره. وكانت كتاباته توصف بالغموض. ونظرته عميقة وشاملة ومتباينة في نفس الوقت. وعندما نقرأ ما تبقى من كتاباته اليوم نتذكر حكيم من الحكماء أو وليم بليك أو ت. س. إليوت أو واحد من المفكرين المحدثين مثل هيجل أو ماركس أو برتراند رسل. لكن يبدو أننا لا يجب أن نبدأ في شرح أفكاره قبل أن يتمكن القارئ من التعرف على آرائه:

1 - من الحكمة أن تستمع إلى كلماتي بإمعان وأن تقر بأن كل الأشياء واحد.

2 - العيون والآذان شهود مؤذية للبشر، إن كانت نفوسهم لا تفهم لغتها.

3 - أن لم تتوقع ما هو غير متوقع فلن تجده؛ ومن الصعب جدًا أن نجده.

4 - الطبيعة تحب التخفي.

5 - تعلم أشياء متعددة لا يؤدي إلى الفهم التام، وإلا لكان فيثاغورس وهسيود أعلم الناس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

6 - الحكمة واحدة، وهي أن تعرف الفكر الموجه لكل الأشياء من خلال كل الأشياء.

7 - هذا العالم الذي هو سواء بالنسبة للجميع، كان دائمًا كما هو اليوم. وسيستمر مثل النار الدائمة لها معايير لتندلع ومعايير أخرى لتخمد.

8 - تحولات النار هي: في البداية بحر ونصف البحر يابس ونصفه إعصار.

9 - كل الأشياء بديلة للنار، والنار بديلة لكل الأشياء، مثلما أن السلع بديل للذهب والذهب بديل للسلع.

10 - النار هي إما العوز أو الوفرة.

11 - تشهد النار موت الهواء ويشهد الهواء موت النار. ويشهد الماء موت اليابس ويشهد اليابس موت الماء.

12 - النار المتقدمة تحكم على كل الأشياء وتدينها.

13 - كان هومير مخطئًا في قوله: «ليت النضال ما بين البشر يزول.» لأنه لا يعلم أن دعاءه هذا معناه زوال الدنيا. وإن استجيب الدعاء؛ سيزول كل شيء.

14 - العكس هو ما فيه الخير لنا.

15 - عند الإله كل الأشياء جميلة ونافعة وعلى صواب، لكن البشر يرون هذا صواب وذاك خطأ.

16 - الصعود والهبوط أمر واحد لا يختلفان.

17 - أريد الوصول إلى نفسي.

18 - الساهرون لهم عالم مشترك بينهم. أما النائمون فلكل منهم عالمه.

19 - الأمور الغامضة بين الناس ليست أسرارًا مقدسة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الأقوال توضح لنا أننا أمام مفكر مبدع وواثق من نفسه. حيث لم يطلق على هيراقليطس اسم «أول فيلسوف عقلي» عبثًا. فكلماته لا تكتفي بالتقصي ومجرد المعرفة أمر غير كاف بالنسبة له. وهو يطالب بالتعمق في معرفة طبيعة الأشياء.

نظرته للعالم

لا شك أن هناك جلالاً فريدًا في نظرته للعالم. ورغم أنه عبر عنها تعبيرًا غامضًا تمامًا، إلا أنها كان لها تأثيرًا على المفكرين والشعراء منذ عصره وحتى عصرنا الحالي. لذلك كانت فلسفة هيراقليطس صعبة الفهم ولنا أن نتوقع أنها ستحيرنا أكثر مما تهدينا. لكننا سنكون على أرض أكثر أمانًا إن افترضنا أن هيراقليطس بدأ بالتفكير فيما أثاره مفكرون سابقون ومنهم مفكرو المدرسة الملطية على سبيل التخصيص. ولابد أيضًا أنه بدأ بسؤال نفسه عن المادة الأساسية التي خُلق منها كل شيء وبحث عن الوحدة التي تقف وراء كل هذا القدر الكبير من التنوع والتغير في الكون.

إما تميزه وإبداعه فناتج من أن الوحدة هي التنوع وأن ما هو أساسي ليس «مادة» بل «تفاعل» والصور التي يضربها لذلك التفاعل هي صور النهر أو اللهب. ففي النهر مثلاً؛ لا يمكن للإنسان أن يخوض في نفس الماء مرتين؛ لكن النهر يظل نهرًا. وهكذا فليست هناك مادة ولكن التفاعل أو الحركة من الأمور الدائمة، وسوف يستمران إلى الأبد ونرى الكثير من أمثلة النهر واللهب.

المادة الأساسية المطلقة

وهذه النظرة للأشياء تختلف تمامًا عن نظرة الملطيين. وما من شك أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنكسماياندر قد تحدث عن حركة دائمة سرمدية، لكنه فسر التبدل بأنه نوع من التعويض الذي تقدمه الأشياء لبعضها بسبب ظلمها. إلا أنه هو وغيره يرون أن هناك مادة أساسية (سماها مطلقة) تتحرك. وإن لم يكن هناك حركة ستظل المادة موجودة.

ويؤمن هيراقليطس أنه بدون حركة لا يمكن أن يكون هناك وجود لأي شيء على الأطلاق. وبغض النظر عما إذا كان يؤمن بما قاله اناكسيماندر عن التراضي والعدالة؛ فإنه يرى أن تلك الحركة (ويسميها النضال) عدل.

لذلك لا يمكننا أن نفهم نظرته للنار والتي نادى بها مثلما فهمنا موقف غيره من الماء أو الهواء. فالنار التي يتحدث عنها لها ما تأخذه وما تعطيه بسخاء. وهي تتحول إلى يابس أو ماء ثم تعود إلى حالتها الأولى. لكن هذه التفسيرات التفصيلية لا يعتد بها إن قورنت بفكرته القائلة بأن الكون ليس قائمًا على المادة بل على الحركة أو ما يسمى بتطابق التوترات المضادة. كما يؤمن هيراقليطس أيضًا أن الإنسان جزئ من القانون العام للكون، وحالة الإنسان تتوقف على التوتر والمزج الصحيح للأضداد.

وقد نجد نوعًا من التشابه بين هذا الكلام والعلم الحديث الذي نظر إلى المادة على أنها تتضمن حركة وجهدًا لا ينقطع للحفاظ على وجودها. وهناك تشابه بين كلام هيراقليطس وبعض النظريات الحديثة مثل نظرية «راسل» عن الشيء. حيث رفض راسل المفهوم العام للجوهر. لكن من الصعب أن نحدد ما إذا كان هيراقليطس قد فكر وجادل بنفس الطريقة التي يجادل بها العلماء والفلاسفة المحدثون. كما أن هيراقليطس لم يكتشف قانون التناقض؛ فهو قانون أبدعه بارمينيديز. وقد أعلن أنه قانون لا يمكن استخدامه بمهارة في تأمل الكون أو تأمل النفس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

8 - بارمينيدس[1]

على الرغم من أن هيراقليطس كان متأثرًا بالمدرسة الملطية، إلا أنه يمكننا أن نجزم بأنه لم ينتمِ إلى أي مدرسة. وقد كانت هناك مدرسة فلسفية أخرى غير المدرسة الملطية اسمها مدرسة الإيلياتية وقد ظهرت في غرب بلاد الإغريق. وكان بارمينيدس هو مؤسس تلك المدرسة. وكان من مواطني إيليا الواقعة في جنوب إيطاليا. ويقال إنه وضع قوانين في موطنه كانت محل تقدير كبير. ذهب بارمينيدس إلى أثينا وهو في الخامسة والستين، وكان قد قابل سقراط وهو شاب، وكان ذلك اللقاء تقريبًا في عام 450 ق.م. ويقال إن أحد أتباع فيثاغورس كان سببًا في تحول بارمينيدس إلى دراسة الفلسفة. فقد درس على يديه. وكان يكتب الشعر بحماس واضح جدًا يظهر طريقه الفلسفي في الحياة بصفة عامة.

ويمكننا وصف بارمينيدس بأنه أول فيلسوف بالمعنى الحقيقي للكلمة. فمنهجه يعتمد على الاستدلال المنطقي وهو لا علاقة له بالعلم التأملي للملطيين أو ما يمكن أن نسميه منهج هيراقليطس الحدسي. وهنا لابد لنا أن نلاحظ أن أفلاطون -مع احترامه الشخصي للمنهج- انتقد بارمينيدس أكثر من أي من أسلافه.

وفي قصيدته الشهيرة؛ كتب بارمينيدس عن رحلته داخل مركبة من قصر الليل إلى قصر النهار. وهناك قابل الآلهة وكان شابًا؛ فحددوا له «طريق الصواب». وفي الجزء الثاني من القصيدة المغنون «طريق الرأي» وصف

---

(1) - بارمينيدس (540-480 ق.م) ولد في إيليا. وقد ترك لنا بارمنيدس قصيدة «في الطبيعة» التي يذكر فيها ما يعتقد أنه الحقيقة المطلقة على نحو يقيني. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بارمينيدس بعض الآراء التي لم يكن هو شخصيًا يؤمن بها. لذلك سنتناول الجزء الأول من القصيدة فقط.

في ذلك القسم من القصيدة؛ ميز بارمينيدس بين ثلاثة أنواع من التفكير؛ وهي:

1 - التفكير فيما هو موجود.

2 - التفكير فيما هو غير موجود.

3 - التفكير فيما هو موجود وغير موجود في نفس الوقت.

من الواضح أن النوع الثالث من التفكير يشير إلى منهج هيراقليطس. ويؤكد بارمينيدس بشدة على أن النوع الوحيد الممكن للتفكير هو النوع الأول فقط. فهو يرى أنه ليس من الممكن أن نفكر في «لا شيء» على أنه لا وجود له. ولا يمكن أن تكون هناك مسافات بين الأشياء ولا بدايات أو نهايات زمنية لها. فالكون شيء واحد سرمدي. والحركة والتغير لا يمكن ادراكهما. وإن كانت حواسنا تخبرنا بأن الأشياء تتحرك وتتغير، فحواسنا تخدعنا.

وقد يمكننا أن نفسر مبدأ «ما هو موجود» تفسيرًا أكثر وضوحًا لو استخدمنا مصطلحات حديثة. فالفكرة الأساسية هي:

1 - أي اسم مفهوم لابد أن يكون اسمًا لشيء موجود فعلاً.

2 - لذلك فجملة «لا وجود له» لابد أن تكون بلا معنى تمامًا أو أنها تناقض نفسها. كما أنها بلا معنى لو أن الفراغ مليء بما ليس اسمًا لشيء موجود، وهي متناقضة لو ملئ الفراغ باسم حقيقي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3 - لذلك يجب رفض كل تلك الآراء القائلة بأن شيئًا ما (أيًا كان ذلك الشيء) «لا وجود له». فمعنى ذلك أنه لا يمكن التفكير فيه.

وفيما يلي بعض المعاني من قصيدة كتبها بارمينيدس بعنوان «ما هو موجود». يقول:

«ليس هناك سوى طريق واحد نتحدث عنه، أقصد ما هو موجود. وفي هذا الطريق الكثير من العلامات تشير إلى ما هو موجود. ولن أدعك تقول أو تفكر أن ذلك الموجود جاء من عدم. فليس من المعقول أن يوجد شيء من لا شيء. ولذلك فإن حكمنا على أي شيء يعتمد على: «هل هو موجود أم غير موجود؟»

أما ما يمكننا أن نفكر فيه؛ بل إن التفكير ذاته وجد من أجله هو شيء واحد، هو ذلك الشيء الموجود. فأنت لا تستطيع التفكير فيما لا وجود له. وكل الأشياء المحيطة بنا لها أسماء أطلقها عليها البشر، وهم يرون أنها أسماء صادقة. تأتي هذه الأشياء إلى الوجود وتذهب؛ توجد وتختفي. وتتبدل الأماكن وتتغير الألوان ما بين الزاهي والداكن.

وإن كان الشيء الموجود له حد أقصى، فهو كامل من كل جانب مثل كتلة كروية مستديرة متساوية الثقل من المركز في كل اتجاه. لأنه لا يمكن أن يكون الثقل أكبر أو أصغر في مكان عنه في مكان آخر. وليس هناك شيء يمكن أن يمنع تمدد شيء آخر إلى الخارج بالتساوي. ولا يمكن لأي شيء موجود أن يكون أزيد في مكان ما وأقل في مكان آخر، فهو كل متكامل في جميع الأوقات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

9 - أمبدوكليس

كان أمبدوكليس يعيش في مدينة أكراجاس الإغريقية في صقلية ويحتمل أن يكون مولده في عام 493 ق.م. وربما تكون حياته قد امتدت حتى عام 433 ق.م. ومن الواضح أن أنشطته كانت متعددة وكثيرة وغير عادية. ادعى الألوهية ونشر ذلك في قصيدة أسماها «التطهرات». وكان دقيق الملاحظة وعالم يكاد ينفوق على بارمينيدس. واهتم أيضًا بالسحر.

البقاء للأصلح

لكن تميز أمبدوكليس الأوضح كان في الشعر والخطابة والنثر. وكان له أثرًا كبيرًا في مجال الطب، وهو من أصحاب نظرية النشوء والارتقاء. ويمكننا أن ننسب إليه نظرية «البقاء للأصلح». ويبدو انه تأثر بفيثاغورس إلى حد ما، فهو ينهي الناس عن أكل البقول قائلاً: «أيها البؤساء، توقفوا عن أكل البقول.» وفي الفقرة التالية من قصيدته «التطهرات» نتعرف على نظرته لنفسه:

«أيها الأصدقاء، يا أهل المدينة الكبيرة المطلة على الصخرة الصفراء في أكراجاس. تلك المدينة الشامخة بقلعتها، أنتم أهل شرف وتكرمون الغريب. يا من ليس من صفاتكم أي نذالة ... أحييكم جميعًا. وكلما ادخل من أرض مزدهرة ومعي رجال ونساء ألقى الاحترام والتقدير. ويسير الناس خلفي في حشود كبيرة ويسألوني عن الطريق الموفق لتحقيق النجاح، وبعضهم يطلب الحكمة. ومنهم من قضى يومًا يتألم يريد أن يسمع مني كلمة تشفيه.»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هنا -وبغض النظر عن ادعاء الألوهية- نرى في حديث أمبدوكليس عن نفسه قدرًا كبيرًا من الثقة في النفس وما يمكن أن تؤدي إليه من نتائج.

كما عبر أمبدوكليس عن فلسفته في قصيدة «عن الطبيعة» التي بقي منها 350 سطرًا. ويبدو فيها أن المشكلة التي واجهته وهو يحاول تعديل نظرية بارمينيدس عن «ما هو موجود» هي أن يوفق بينها وبين حقيقة أن الحركة والتغير موجودان دائمًا. ويبدو أن ذلك المنهج يقوم على التوفيق بين ما نادى به بارمينيدس وما نادى به هيراقليطس. وهو يوافق على فكرة استمرار ما هو موجود ويرى أن ذلك الاستمرار يصحبه «تفاعل» ما. وهو بذلك يعدل نظرية ملطية القائلة بإن العالم لا يتكون من مادة بل من أربع أصول وهي: الماء والهواء والنار والطين.

التمييز بين المادة والقوة

ويحسب لأمبدوكليس أنه كان أول من ميز بين المادة والقوة، وذلك بالرغم من أن جزءًا من هذا التمييز نراه عند هيراقليطس. وعلى الرغم من أن هذا التمييز صحيح إلا أن ما ورد في مقولات أمبدوكليس نفسه يوضح أنه لم يكن على علم جيد بالأمر، فهو يرى أن هناك قوتان وهما مادتان مختلفتان. ولكن كيف فكر في ذلك؟ هذا ما لا نعرفه. لكن ... هل نعلم طريقة تفكير أمبدوكليس في القوى الشخصية للبشر؟

إنه يرى أن القوتان هما الجذب والتنافر (الحب والنضال)، فهما سبب التغير والحركة. وهو يرى أن هناك أربع فترات لابد أن تتعاقب الواحدة تلو الأخرى:

الفترة الأولى: هي فترة سمو الحب وعدم وجود النضال، وهي فترة تتميز بدمج كل العناصر معًا ولا يمكن تمييز شيء عن آخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفترة الثانية: وهي فترة يسود فيها النضال، وفيها تنفصل العناصر ويستمر الحب في نشاطه ويؤدي إلى وجود تجمعات مختلفة، وقد تكون بعض التجمعات غريبة جدًا.

المرحلة الثالثة: وفيها يسود النضال وتكون العناصر الأربعة واضحة ومنفصلة. فلا شيء يمكن أن يكون له وجود سوى النار والهواء والماء والطين، والحب خارج هذا المجال.

المرحلة الرابعة: وفيها يبدأ الحب غزوه وتبدأ العناصر في الاندماج مع بعضها.

ومن الواضح أن العالم الذي نعرفه له وجود فقط في الفترتين الثانية والرابعة. وهناك ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن أمبدوكليس يرى أن عالمنا الذي نعيش فيه مكانه الفترة الثانية.

الأحاسيس والرؤية

ومن الواضح أن هذه النظرية أعدت بتفصيلات دقيقة. ولعل أطرف تطبيقاتها يكون في علم الأحياء. أما نظرية أمبدوكليس عن الأحاسيس والرؤية فقد طال تناولها لفترة طويلة. حيث تحدث عنها أفلاطون وأرسطو وعلماء الذرة. وهي تقول إننا نستقبل انبثاقات تنقل لنا الرؤية والذوق والشم وغيرها من أحاسيس عن طريف مطابقتها لمختلف قوى أعضاء الحس.

مزيد من المقتطفات

وقد اخترت من أمبدوكليس المقتطفات التالية وهي تتيح فرصة أكبر للتعرف على هذه الشخصية القديرة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

1 - لا يفنى جوهر أي شيء من الأشياء، كما أنه ليس هناك ما يمنعها من موت مدمر. والجوهر ما هو إلا اسم يطلقه الناس على الأشياء.

2 - يتعادل النضال والحب من قديم الزمان، وسيظلا متعادلين، ولا أعتقد أنه سيخلو زمان من هذين العنصرين.

3 - سأروي لكم قصة مزدوجة: هناك مجيء للوجود مزدوج للأشياء الفانية ويكون فناءه وزواله مزدوج أيضًا. كما أن اتحاد الأشياء معًا يوجد جيلاً أو يفنيه، ثم ينمو جيل آخر وينتشر بانشطار الأشياء. وهذه الأشياء لن تتوقف عن تغيير أماكنها باستمرار. تتوحد مرة وتتفرق مرة. وبما أنها لن تتوقف أبدًا عن تغيير أماكنها باستمرار، لذلك فهي لا تتحرك أبدًا وتدور حول دائرة الوجود.

4 - الكائنات تتحرك بتثاقل لأسباب لا حصر لها.

5 -كائنات كثيرة تولد بوجوه وصدور تتطلع إلى مختلف الاتجاهات، بعضها من نسل ثيران وله وجوه البشر، والبعض الآخر نسل بشر له رؤوس ثيران. وهناك كائنات عقيمة تجمع بين طبيعة الرجال والنساء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

10 - أنكساجوراس

جاء أنكساجوراس[1] إلى أثينا في عام 480 ق.م. ويرجح أنه كان فردًا في جيش أو بحرية أكسريز الغازي. وربما كان في ذلك الوقت في العشرين من عمره. وهو أول فيلسوف يعيش في أثينا. وقد عاش فيها ثلاثين عامًا. وكان صديقًا ومعلمًا لبركليز. وربما يكون قد أدين أمام المحاكم بسبب مكائد سياسية أعدها لها منافسي بركليز. وكان متهمًا بأنه مؤيد للفرس وأنه يكفر بالآلهة.

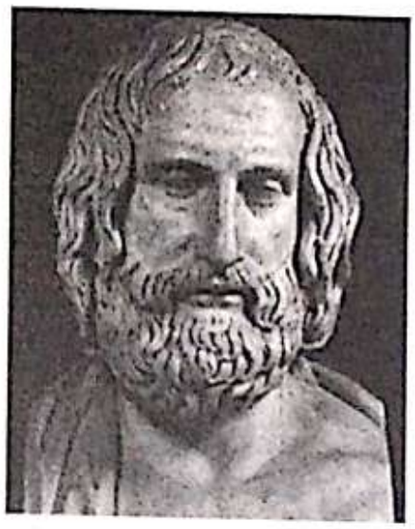

وقد علم تلاميذه أن الشمس صخرة شديدة التوهج وأن القمر خُلق من الأرض. لكنه لم يتردد -مثل سقراط- في الفرار من السجن. وربما كان ذلك في استطاعته بمساعدة من بركليز. فغادر أثينا وعاد إلى أيونيا. فعاش في لامبسكوس قرابة خمس وعشرين عامًا. وتخليدًا لمولده ظل يوم وفاته يوم عطلة للطلاب في مدارس لامبسكوس لفترة طويلة.

وكان سقراط قد قرأ أعمال أنكساجوراس وهو لا يزال في سن الشباب

---

(1) - أنكساجوراس: (500-428 ق.م.) عاش في أثينا، التي أصبحت في وقت لاحق مركزًا مزدهرًا للفلسفة. ومن بين تلاميذه بريكليز رجل الدولة الإغريقي، ويوربيديز الكاتب المسرحي، وربما سقراط. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأصيب بخيبة أمل. والمقتطفات الوحيدة التي لا تزال باقية إلى اليوم يبدو أنها نقلت عن كتاب تناول فيه أنكساجوراس مبادئه العامة. ولا يزال دارسي الفلسفة في جدال دائم حول كيفية فهم هذه المبادئ بدقة.

وقد تناول أنكساجوراس مشكلة الجوهر والتغيير بطريقة تبدو مشابهة لأمبيدوكليس. كما أنه اتفق مع بارمينيدس أنه لا يمكن إضافة أي شيء أو سلب أي شيء مما هو موجود. كما اهتم بتفسير الحركة والتغير.

سلسلة عناصر متداخلة

لم يؤمن أنكساجوراس بنظرية الأصل الواحد ولا بنظرية الأصول الأربعة. كما أنه لم يكن عالم ذرة. لكنه قال بأن المادة ما هي إلا «سلسلة متعاقبة من عناصر متداخلة» قابلة للانقسام إلى ما لا نهاية. ومع ذلك وأيًا كانت الأجزاء التي يمكن أن تنقسم إليها؛ فإن كل جزء منها سيحتوي على عناصر كل شيء آخر.

وبذلك يمكننا أن نقول إن الفرق بين النار والطين وقطعة من الذهب أو حبة من الحنطة ليس سوى أن النار بها نار أكثر مما هو موجود في الطين وأن في قطعة الذهب مزيد من الذهب أكثر مما هو موجود في الحنطة. وبالرغم من ذلك فإن تكوين الطين يحتوي على بعض النار وتكوين النار يحتوي على بعض الطين؛ وبالمثل يحتوي الذهب على بعض جزيئات الحنطة والعكس صحيح. وهكذا يبدو من المحتمل أن الأضداد (الحار والبارد والرطب واليابس ... الخ) ينظر إليها على أنها أشياء. وهي جزء من تركيب الأصول.

العقل علة كل الأشياء ... وسعادة لم تكتمل

أما مشكلة كيفية تجمع تلك الأصول في الهيئات التي نعرفها وتتكون منها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأشياء، ومشكلة الحركة والنمو فنجد أن أنكساجوراس يفترض وجود سبب خارجي يسميه العقل. وقد امتدحه أرسطو على ذلك التفسير. فقد علق على ذلك بقوله إن أنكساجوراس إن قارناه ببقية الفلاسفة؛ فهو أشبه بشخص في كامل وعيه بين السكارى. وقد نُقل عن أفلاطون أن سقراط شعر بسعادة غامرة عندما علم بأن أنكساجوراس جعل العقل علة لكل الأشياء. لكن سرعان ما خاب أمله في هذا السياق فأنكساجوراس استخدم العقل كفرض فقط؛ بينما كانت كل اهتماماته علمية. ويجب علينا أن نلاحظ أن ذلك العقل الذي تحدث عنه أنكساجوراس يمكن تصوره على أنه جوهر. والمقتطفات التالية مأخوذة عن أول كتاب ألفه أنكساجوراس:

- عندما كانت كل الأشياء معًا؛ وقبل أن تنفصل، لم يكن من الممكن تمييز أي لون، فقد حال اختلاط الأشياء دون ذلك. ولما كانت كل الأشياء على هذه الصورة، كان لابد لنا أن نعتقد أن كل الأشياء موجودة في الكل

- لما كانت أجزاء الكبير والصغير متساوية في المقدار، فلهذا السبب تكون كل الأشياء موجودة في كل شيء، وليس في إمكانها أن تنفصل. كما أنها لا يمكن أن توجد من تلقاء نفسها.

- الأشياء الموجودة في عالم واحد ليست مقسمة ولا منفصلة عن بعضها؛ فالدفء والبرد لا ينفصلان.

- في كل شيء يوجد جزء من كل شيء، إلا العقل. لكن بعض الأشياء بها عقل أيضًا.

- تشترك الأشياء الأخرى كلها في جزء من كل شيء، بينما نجد أن العقل حر ولا يختلط بشيء؛ بل إنه قائم بذاته. وذلك لأنه لو اختلط بشيء أو لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكن قائمًا بذاته، لاختلط بكل الأشياء وتسببت الأشياء المتعلقة به في إعاقته. وبذلك لن يتمكن من فرض سلطانه على كل شيء كما هو الحال الآن. وهو أرق الأشياء جميعًا وأنقاها وأقواها. كما أن له سلطان على جميع الأشياء كبيرها وصغيرها وكل ما تدب فيه الحياة. وكل العقول متساوية كبيرها وصغيرها.

- حواسنا ضعيفة بصفة عامة، لذلك نعجز عن الوصول إلى الحقيقة.
- ما يمكننا أن نراه ما هو إلا صورة لما هو غير مرئي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

11 - زينو وموليسوز

في منتصف القرن الخامس، عندما كان سقراط في مرحلة الشباب، كان هناك اثنان ممن أيدوا نظرية بارمينيدس بشدة وهما: زينو وقد تتلمذ على بارمينيدس وهو من نفس المدينة، وميسلوز وهو من مواطني ساموس.

وإن أخذنا بما قاله أفلاطون، فإن زينو ولد في عام 490 ق.م. وقد زار أثينا بصحبة معلمه بارمينيدس عندما كان في الأربعين من عمره. ويرى أرسطو أنه من استحدث المنهج الجدلي، وهذا أمر لا شك فيه. وبالرغم من أن هذا المنهج الجدلي واضح تمامًا فيما كتبه بارمينيدس. إلا أن زينو كان أول من استخدم «التفتيت المنطقي» أو «التفكير العقلي». وكانت طريقته هي أن يلتقط الافتراضات الفلسفية لمنافسه ويستخرج منها نتائج مضادة. وقد كانت نتيجة ذلك أن من انتقدوا نظرية الواحد لبارمينيدس يجدون أنفسهم في مواجهة مشكلات أكثر بكثير مما لو أنهم تجنبوا ذلك.

وهناك مفارقات ثلاث مهمة تميز فكر زينو؛ وهي:

1 - لا يمكنك الوصول إلى الجانب الآخر من مضمار السباق، وحتى تتمكن من ذلك لابد لك أولاً أن تبلغ منتصف الطريق، ثم تصل إلى منتصف الطريق وهكذا إلى ما لا نهاية ولذلك فلا يمكن أن تبدأ أبدًا.

2 - لن يلحق أخيل بالسلحفاة أبدًا؛ فحتى يحقق ذلك لابد له أن يصل إلى النقطة التي بدأت منها السلحفاة. وفي ذلك الوقت ستكون السلحفاة قد ابتعدت. وتستمر الملاحقة إلى ما لا نهاية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

3 - السهم الطائر ساكن. وفي لحظة محددة لابد له أن يشغل فراغًا مساويًا لحجمه، ولهذا لا يمكن أن يتحرك.

ونلاحظ أن المفارقتين الأوليين تتناولا الافتراض القائل بأن المادة قابلة للانقسام إلى ما لا نهاية؛ أو أن -حتى نكون أكثر دقة- أي خط يتكون من عدد لا نهاية له من النقاط.

والمفارقة الثالثة تتناول الفرض القائل بأن المادة تتكون من عدد محدود من أشياء لا تنقسم. لذلك فيمكننا أن نستنتج أن الكائن لا ينقسم إلى ما لا نهاية ولا يتكون من عدد محدود من الأشياء يمكن أن ينقسم. وقد وصل بارمينيدس إلى نفس النتيجة.

وقد يرى البعض أن هناك ما هو غير معقول فيما ساقه زينو من حجج؛ وهذا صحيح في الواقع. ومع ذلك فإن أيًا منا يمكنه التحقق مما خلفه زينو من إنتاج أدبي ضخم -وهو لا يزال صالحًا كمادة للمناقشة- سرعان ما يدرك أن قضاياه المنطقية مترابطة بمهارة شديدة.

أما عن إيضاح أسلوب بارمينيدس بدقة -حسب رأي بارمينيدس نفسه- فقد تولى ذلك مليسوز؛ وكان له عمل هام إضافة على توضيح نظرية بارمينيدس. فكان قائدًا بحريًا وقاد الأسطول السامياني ضد أثينا في الفترة 442-440 ق.م. لكنه كان يختلف عن بارمينيدس في رؤيته لـ«ما هو كائن»، فهو أبدي الفراغ والزمان. وأنا لم أعرف لماذا لم يتوصل بارمينيدس إلى هذه النتيجة. فهو يرى أن أي شيء موجود خارج أي شيء فهو لا شيء.

وقد يكون من المفيد أن نقرأ ما ورد من مقتطفات عن مليسوز ونربط بينها وبين ما قاله بارمينيدس:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- إن كان اللاشيئ موجودًا، فماذا يمكن أن نقول عنه مثل أي شيء حقيقي؟
- ما كان موجودًا دائمًا، موجود منذ الأبد وسيظل موجودًا دائمًا، وهو موجود قبل أن يأتي إلى الوجود. فإن لم يكن موجودًا أصلاً، فلا يمكن أن يوجد شيء من لا شيء.
- وبما أن أي شيء موجود إلى الأبد، فلا يجب أن يكون محدودًا في حجمه.
- أما اللاشيء الذي له بداية أو نهاية، فهو إما سرمدي أو أبدي.
- وإن لم يكن واحدًا، فسيكون مرتبطًا بشيء ما غيره.
- فلو كان أبديًا، فلابد أن يكون واحدًا. وذلك لأنه لو كان اللاشيء اثنان لارتبطا ببعضهما ولما استطاعا أن يكونا أبديين.
- اللاشيء إذن لا بداية له ولا نهاية له. ولا يمكن أن يفنى أو يكبر. وهو لا يعاني من ألم أو حزن؛ لأنه لو أصيب بأي من هذه الأشياء سيكون شيئًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

12 - ليوسيبوس

كان ليوسيبوس الملطي معاصرًا لمليسوز ويقال إنه استمع إلى زينو. وقد قدم ما يبدو أنه أعظم إجابة للسؤال الذي طرحه مواطنه (طاليس) وذلك باختراعه نظرية الذرة. وقد تمكن بطريقته الفريدة من تقريب وجهات النظر بين الفلاسفة. وقد استفاد آخرون من نظريته فطورها ديموقريطس وتوسع فيها أبيقور وحولها إلى مذهب فلسفي وأخلاقي. لكني لن أتناول هذه النقاط بالتفصيل لتعذر نسبة أجزاء من النظرية إلى ليوسيبوس أو إلى ديموقريطس؛ مع اعترافنا بأن ليوسيبوس هو من قام بالخطوة الأولى الحاسمة. فقد كان جريئًا عندما أثبت أن اللاشيء موجود وبذلك قدم لنا تفسيرًا للحركة. كما أقر ليوسيبوس كل حجج زينو الرافضة للانقسام المطلق؛ وأكد وجود جسيمات صغيرة تسمى الذرات (وكلمة ذرة تعني الشيء غير قابل للانقسام). وقال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن كل شيء مكون من ذرات وفراغ والفراغ هو اللاشيء. والذرات في حد ذاتها غير مرئية، رغم أنها جميعها ليست في نفس الحجم. وسوف أناقش التطبيقات العملية لهذه النظرية فيما بعد، عندما نستعرض أعمال أبيقور. إلا أننا لابد أن نلاحظ ذلك الاستخدام الثوري لليوسيبوس لفعل الكينونة؛ حيث رأى أن اللاشيء ممكن أن يكون موجودًا؛ لأن هناك فراغ؛ والفراغ هو لا شيء. وقد كانت تلك الثورة جريئة جدًا في مواجهة منطق كل من بارمينيدس وزينو.

وليس هناك مقتطفات بقيت من أعمال ليوسيبوس سوى مقتطف واحد. وهو: «ليس هناك ما يحدث عفويًا، وكل الأحداث نتيجة علة أو ضرورة». وأنا لا أشك أن في ذلك إيمان بالمصير. لكن إلى أي مدى تقدم ليوسيبوس تجاه ذلك السلوك المصيري؛ هذا ما لا نعرفه. لكن يمكننا أيضًا التعرف على ليوسيبوس كعالم من علماء المنطق من فقرة نقلت عن ثيوفراستوس وفقرة نقلت عن أرسطو؛ وهما:

- افترض ليوسيبوس أن هناك عناصر تتحرك لا حصر لها وهي الذرات. وقد جعل صورها مطلقة في عددها، وذلك لأنه ليس هناك من سبب يوجب أن تكون كل الذرات من نوع محدد وليست من نوع آخر. كما رأى أن هناك صيرورة وتغيرًا في الأشياء لا ينقطعان. وقال إن ما هو موجود لم يعد واقعيًا عما هو «غير موجود» وأن كليهما علتان للأشياء التي تأتي إلى الوجود.
- اتبع ليوسيبوس هو وديموقريطس نفس النظرية بالنسبة لكافة الأشياء. وكانت نقطة البداية بالنسبة لهما هو ذلك الشيء الذي يأتي أولاً بصورة طبيعية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ظن ليوسيبوس أن له نظرية تتفق مع الإدراك ولا تنفي الاتيان إلى الوجود والفناء ولا تنفي الحركة ولا تكاثر الأشياء. وقد أرجع ذلك إلى التجربة. ومن جهة أخرى أقر بأن من ابتدعوا نظرية «الواحد» وضعوها لأن الحركة مستحيلة بدون فراغ. وقال إن ما نتحدث عنه بصفته واقعي لم يكن واقعيًا وإن لا شيء مما كان واقعي لم يكن واقعيًا لأن ما نتحدث عنه بدقة على اعتبار أنه واقعي هو في الحقيقة مكتمل تكاملاً مطلقًا، لكن ذلك التكامل ليس واحدًا. وأن المكون الرئيسي لأي شيء هو الذرة؛ وهناك عدد منها لا نهاية له، كما أنها غير مرئية لدقة حجمها. وهي تتحرك في الفراغ لأن هناك فراغًا، وبتجمع الذرات معًا ينتج الخلق، بانفصالها يكون الفناء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

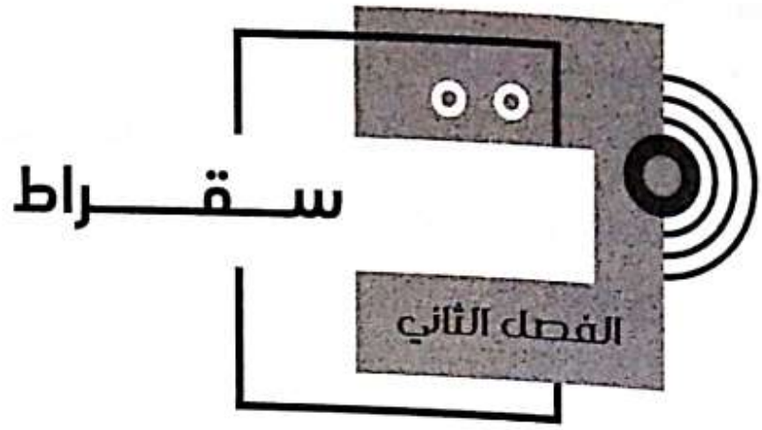

العصر الذي عاش فيه

في الفترة من طاليس وحتى القرن الخامس قبل الميلاد رأينا أن البحث الإبداعي للفلاسفة قد صار متفرعًا إلى فروع مختلفة، وإلى مناهج متعددة. فمن المعتاد أن نتوقع أن الفيلسوف قد يكون فكليًا وعالم رياضيات ودارس للمنطق. إلا أن التمييز ما بين الفلسفة والعلم والجدل والتجربة قد بدأ في الوضوح بشدة.

أما السؤال الذي كان يثار دائمًا فهو:

لماذا لم يصل الإغريق الذين ابتدعوا الكثير من مبادئ العلوم إلى ما هو أبعد من ذلك في تطبيقاتهم؟

لا شك أن لهم اكتشافات مهمة في الفلك والميكانيكا والطب. لكن الاتجاه العام كان نحو النظرية والتأمل والابتعاد عن التجربة والمشاهدة. وفي النهاية أصبح منهج أرسطو القوي عائقًا ليس أمام العلوم فقط بل أمام البحث الذي يبدأ به كل الأعمال.

والرد المعتاد على مثل ذلك السؤال هو أن الاغريق كانوا أصحاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثقافة أرستوقراطية وكانوا يتعالوا عن تلويث أيديهم. وكانوا يرون أن العمل بالتجارب العلمية يليق بالعبيد فقط. ولا أظن أن هذا رأي صحيح، وما أنشطة أمبيدوكليس الأرستقراطي إلا مثالاً يدحض تلك الفكرة المتعالية. لكن أرسطوفانيز كان يسخر من التجارب العلمية بصفة عامة. وكان دائمًا يسلي مستمعيه بنكات عن العلماء (وكان هذا هو موقفنا قبل أن يصل علماؤنا إلى مكانتهم الحالية). فكان يصف شخصًا بأنه (شارد الذهن) مثل العلماء.

وكان العلم -وخصوصًا في الديموقراطيات الحديثة في القرن الخامس قبل الميلاد- أقل أهمية من السياسات، وكان أي أثيني يتشوق إلى تفسير العالم من حوله ويغيره أيضًا. لكن التفسير كان مهمة الفلسفة؛ أما التغيير فكان مهمة السياسة. وهكذا كان الاهتمام بتطبيق المبادئ المجردة؛ ليس من أجل تطوير العلوم فقط؛ بل من أجل تطوير طريقة الحياة والنجاح السياسي للمجتمع.

وكان تعلم تلك الطريقة في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد مهمة العلماء المتجولين وواضعي النظريات والمربين الذين عرفوا باسم «السفسطائيين». وكان من النادر أن يطلق عليهم اسم «الفلاسفة». ولذلك سيقتصر اهتمامنا بتناولهم على مناخ الفكر الذي كان على الفلسفة أن تنشأ فيه.

السفسطائيين

وقد كان من السفسطائيين أول علماء اللغة وأول معلمين لقواعد الخطابة وأول علماء اللسانيات. وعلى الرغم من أنهم جميعًا لم يكونوا من الفلاسفة إلا أنهم كانوا على صلة بالفلسفة بقديمها وحديثها. وقد كان منهم جورجياس الليونتيني؛ وهو شخص محبوب في أثينا تلميذا لأمبيدوكليز. وقد كتب رسالة قال فيها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

1 - لا شيء له وجود.

2 - إن كان هناك ما هو موجود بالفعل، فلا يمكننا معرفته.

3 - إن تمكنا من معرفة أن شيئًا ما موجود، فلن يكون ذلك عن طريق اللغة.

ثم أنه -ولمعرفته بالنثر الموزون- فقد كرس جهده لمهمة عملية وهي إيضاح كيف يمكن للنثر أن يكون له تأثيره الواضح. وهكذا أصبح هذا الفن الجديد -وهو فن البلاغة- أكثر من مجرد تناول الأسلوب ودراسته. فمن الضروري توفر السبب المناسب للشخص المناسب والفرصة المناسبة. ويتدخل علم النفس في هذا الأمر لأن على الخطيب أن يتعرف على مستمعيه، ليعرف من منهم يتأثر بالطبيعة ومن يتأثر بالبيئة. وكان أعظم السفسطائيين برتاجوراس الذي تنسب إليه عبارة: «الإنسان مقياس كل شيء.»

وعلى الرغم من أن السفسطائيين كانوا مربين ممتازين، وأن كثيرًا منهم لم يكونوا أصحاب مثل عليا فقط، بل كانوا أيضًا أصحاب آراء محترمة عن الأخلاق. إلا أنه كان من الواضح -كما أدرك سقراط- أن هناك تناقضًا غريبًا بين ما يطالبون به من تمكينهم من تعليم الناس كيف يحيون حياة ناجحة وبين شكوكهم حول مكانة الإنسان في تدبير الأمور. ويصبح ذلك التناقض أكثر وضوحًا عند تناول موضوعات الأخلاق. فإن كان الإنسان هو المقياس الحق وهو أيضًا مصدر نجاح المعيار؛ سيصعب علينا معرفة لماذا لم يرتكب انسان ما عددًا من الجرائم إن كان بإمكانه أن يرتكبها دون عقاب. وعندما تفاخر السفسطائيون علانية أنه بفضل طريقتهم أصبح من الممكن «جعل أسوأ علة تبدو الأفضل» اضطر الناس إلى التساؤل حول ما لحق بالأفكار القديمة مثل العدل والحقيقة من تغيير. فقد صرف أولئك المفكرين الأنظار عنها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واعتبروها أفكارًا قديمة لا معنى لها استفاد منها كُتاب الأساطير. وقد تحولت القضية إلى سؤال: هل هناك داع لوجود أي علاقة بين السلطة والعدل؟

وقد استفاد أدب القرن الخامس قبل الميلاد من هذا الموضوع طويلاً. ومع تزايد قدرات السفسطائيين وتفاقم الأحداث التاريخية زادت أهمية المشكلة. وقد ذكر ثيوسيديدز هذه القضية في كتابه «محاورة ميليا» وأشار إلى نوع من السلطة فريد ورهيب. وقد لاحظ ثيوسيدز ما لاحظه آخرون كثيرون من أنه في أوقات زوال قيود القانون والعُرف قد تتحول الطبيعة البشرية إلى العنف والوحشية وتصل إلى درجة لا يمكن وصفها. وذلك على الرغم من أن نفس الطبيعة البشرية تحت نظام سياسي محكم يمكن أن تنال وصفًا رائعًا مثلما حدث عندما وصف بركليز عظمة ونشاط وتعدد مهارات حضارة أثينا.

سقراط ... فريد ومتميز

كان سقراط محبًا لأثينا مثل ثيوسيديدز. وكان مقيمًا بها وعلى علم تام بالعلوم الجديدة. وقد عاصر أثينا أيضًا في عصر ازدهارها وعصر انحطاطها. وقد اهتم بالمشكلة الأخلاقية في عصره. إنها مشكلة تحمل بعض التشابه مع المشكلة التي نواجهها الآن. ويبدو أن التفاؤل والإيمان بالتقدم وقيمة معالجة الحياة بطريقة علمية التي يبدو أنها خيبت آمال المؤمنين إلى حد ما. ولم يؤد التوسع في التعليم والإنجازات الثقافية الكبرى وانتصار الديموقراطية إلى تحسين أحوال الناس؛ بل يمكننا أن نقول إنها جعلتهم في حال أسوأ. وقد توصل سقراط إلى أن ما كانوا بحاجة إليه ليس القليل من التعليم بل مزيد منه وليسوا بحاجة للتراجع عن الثقافة بل مزيد منها أو بمعنى آخر فإن المطلوب هو الاستفادة منها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

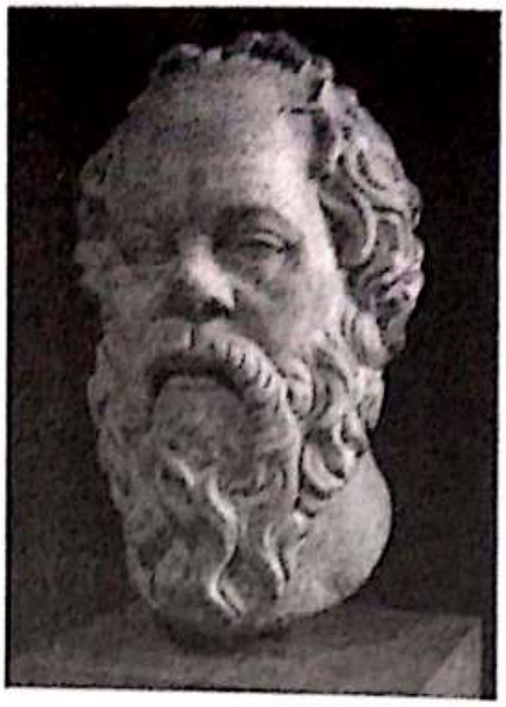

وقد كان تأثير سقراط على الفلسفة تأثيرًا ثوريًا من الصعب وصفه في عدة جمل ومن المستحيل -في الحقيقة- أن نحدد ما جعل هذا المواطن الأثيني بهذه الأهمية. فلو لم يكن أول من طبق الاستدلال التجريدي على مشكلات السلوك والمجتمع. فقد عاش في عصر كان ذلك هو الأسلوب السائد فيه كما أنه لم يخترع الجدل؛ بل إنه استخدم طريقة زينو بأسلوب مختلف. كما أنه لم يكن أول من أعلى من شأن الحياة الفلسفية، فقد سبقه إلى ذلك فيثاغورس وأمبدوكليس. وقد كان لفيثاغورس بين أتباعه من الاحترام والتبجيل قدر ما ناله سقراط منهما.

ورغم كل ذلك لابد لنا أن نجد أنفسنا أمام شخصية مختلفة تمامًا عن كل من ظهروا قبله. فهو يحمل كل شيء ونقيضه. وهو غير عادي لأنه عادي وذائع الصيت في أثينا، ومتدين لكنه شكاك وحكيم من خلال تظاهره بالجهل. وعلى الرغم من كل ذلك أيضًا لا نجد في شخصه أي نقص واضح. فهو صاحب شخصية مؤثرة لو حاول فنان كبير مثل أفلاطون تشويهها لما استطاع. كما أنه فرض شخصيته على من جاءوا بعده كما لم يحدث مع أي فيلسوف آخر. وقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان لا يهتم بالترف ولا يخشى مخاطر الحروب ولا يحب النفاق والمداهنة في حالة السلم. وكان يلتزم تمامًا بانتمائه لأصدقائه ومدينته وقوانينها حتى عندما حُكم عليه بالإعدام. وكان يُعرف في عصره وما بعده على أنه قديس خطير على المجتمع، وهو لم يكتب شيئًا على حد علمنا.

أهمية سقراط في تاريخ الفلسفة الإغريقية

عندما نحاول تقييم أهمية سقراط في تاريخ الفلسفة الإغريقية سنجد أننا مدفوعين دومًا تجاه أهميته الشخصية وليس تجاه مبادئ وضعها أو منهج يسهل تعريفه. فقد مهدت شخصيته لظهور آخرين مختلفين مثل أفلاطون وأكسينوفون وغيرهما.

أما منهجه الفكري فقد اتسم بالمنطق الكامل؛ وإن نظرنا إليه من جهة أخرى لرأينا أنه أقرب إلى مبادئ عقيدة دينية.

ويبدو أن سقراط نفسه كان يعتقد أنه مكلف بما نسميه اليوم واجبًا دينيًا. وقد مر به في منتصف عمره تجربة يمكن وصفها بأنها نوع من الهداية. وقد عمل بالفيزياء في شبابه وشاركه في ذلك العمل أرخيلاوس تلميذ أنكساجوارس. ومما يجدر ذكره هنا أن أرسطوفانيز وصف سقراط في كتابه «السُحب» على أنه عالم مجنون وليس مصلحًا أخلاقيًا. وبعد ذلك بفترة قصيرة؛ سأل أحد الكهنة عن أكثر الناس حكمة؛ فكان الرد: سقراط. إلا أن السبب الذي جعل ذلك الكاهن يثق هذه الثقة الكبرى في أثيني مغمور لا يزال غير معروف تمامًا. ويبدو أن سقراط نفسه اندهش من جواب الكاهن، لكنه أخذه مأخذ الجد. فكان يشعر أنه في مهمة مقدسة. وقادته سخريته المعهودة إلى أن يدعي الحكمة بطريقة فريدة وهي أن يدرك جهله الشخصي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويستخدم منهجه الفريد في جعل الناس يدركون أنهم كانوا شديدي الجهل. وهكذا أصبح له أعداء بقدر ما له من أصدقاء.

وقد اتبع سقراط فيما يجريه من أبحاث طريقة زينو الجدلية بعد أن طورها ووضحها. فهو يضع الافتراضات أولاً حول الشخص موضوع البحث؛ ثم يفحص الأمر بالاستعانة بأمثلة مستمدة من واقع الحياة ليبرهن أنه قاصر أو مناقض لنفسه.

فكره وآراءه

على أن سقراط بعواطفه الجياشة وسحر حديثه وسخريته وفكره المميز حاول أن يستكشف ما هي الشجاعة وما هو العدل. وكان يؤمن بأن هناك جوابًا لكل سؤال منها ومن الأهمية أن يصل إليه. وقد رأى أرسطو أن سقراط شخصية عامة وخلاقة لسببين:

- تعريفه للمفاهيم العامة.
- استخدامه للمنهج الاستقرائي.

وكان سقراط متحمس دينيًا لمعتقداته، وكان يؤمن بوجود نظام تثقيفي وأخلاقي من الممكن اكتشافه، ومن خلال هذا الإيمان تنطلق تعاليمه رغم ما فيها من مفارقات:

- الفضيلة هي المعرفة.
- ليس هناك من يخطئ بمحض إرادته.

وهكذا نرى أن سقراط واقعي إلى حد كبير، فهو يعلم أن الناس لا يرون الخير بوضوح كاف. لذلك فهو يرى بضرورة إجراء المزيد والمزيد من الأبحاث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتدريب العقل تدريبًا كاملاً تمامًا مثلما يدرب الرياضي جسمه. ونتيجة لهذا التدريب؛ فإن من يصلون إلى المعرفة الحقيقية لا يمكن أن يقترفوا أي أخطاء ولن يكونوا بحاجة إلى ذلك أبدًا.

ولا يبتعد المذهب التثقيفي عن هذا كثيرًا، ولا يبتعد عنه الإيمان الديني أيضًا. وقد يبدو لنا أن العقيدة أمر تصوري، ومع ذلك فإن كل ما نعرفه عن سقراط الواقعي يقودنا إلى أن كلمة التصوري لا يمكن أن تنطبق عليه. فقد كان مواطنًا أثينيًا صالحًا؛ لم يخرج من أثينا إلا ليحارب كجندي مشاه في معاركها الخارجية. وكانت رسالته موجهة بصفة خاصة إلى أهل أثينا.

الفلسفة الأخلاقية

كان سقراط هو مبتدع الفلسفة الأخلاقية، وهي فلسفة سياسية إلى حد كبير جدًا. إلا أنه اتفق مع السفسطائيين على مفهوم رغم استنكاره لهم بصفة عامة. وهذا المفهوم هو «أن الإنسان مقياس كل شيء». ويبدو أنه تخلى عن اهتماماته الأولى في الفيزياء، رغم أنه مر عليه وقت تأثر فيه بمبدأ أنكساجوراس القائل بـ«أن العقل سبب كل شيء». فقد رآه كلامًا معقولاً في ذلك الوقت. لكنه أصيب بخيبة أمل عندما اكتشف أن أنكساجوراس استخدم العقل للتفسير لأنه لم يجد تعليلاً علميًا آخر.

لم يكن سقراط باحثًا عن المادة التي نشأ منها كل شيء ولا عن تفسير للحركة ولا عن حل للجدال بين الواحد والكثرة، بل كان مهتمًا بالاستيضاح العام لكل الأمور وبصفة خاصة طبيعة الإنسان في المجتمع وكيف يمكن إعدادها لتكون أفضل مما هي عليه.

وكان سقراط في أنشطته النقدية قادرًا على أن يكون أكثر هدمًا وأكثر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بناء في آن واحد من السفسطائيين. ولم تكن هناك فكرة تقليدية لم يكن على استعداد تام لدراستها. ولذلك تناول الديموقراطية كفكرة تهم أهل أثينا في ذلك الوقت حيث كانوا يرون أن البشرية كلها هي مسرح للحياة السياسية. وكان سقراط يعمل على الوصول إلى مفهوم لوضع اجتماعي أعلى وأسمى وأكثر فاعلية للدولة. إلا أن مواطنوه أدانوه في عام 399 ق.م. واتهم بإفساد الشباب. وقد أتهم وأدين لأنه كان «لا يؤمن بالآلهة التي كانت تؤمن بها المدينة[1]». ورغم أنه كان يعلم أنه أدين على غير حق؛ إلا أنه احترم قوانين مدينته ورفض الهروب عندما أتيحت له الفرصة. فقد كان إخلاصه لمدينته غير عادي.

محاورة جورجياس

وفي المقتطف التالي من محاورة كتبها أفلاطون بعنوان «جورجياس» نجد مثالاً واضحًا لمعارضة سقراط للواقعية التي كانت ذائعة وقتها، وقد نادى بها بعض السفسطائيين أو ربما أيدوها بصراحة. وفي المحاورة يتحدث كالكليز ذو العقلية الجامدة:

كالكليز: الحقيقة يا سقراط هي أنك يا من تتظاهر بأنك مشغول بتعقبها؛ وتلجأ إلى الألفاظ العامية عن الحق، وهي مجرد أفكار جرى عليها العرف. والعرف والطبيعة على خلاف تام. فإن كان هناك شخص شديد الحياء ولا يستطيع قول ما يفكر فيه، فهو مضطر إلى مناقضة نفسه، وأنت ببراعتك تدرك الفائدة التي يمكن أن تجنيها من وراء ذلك. فتسأل بدهاء عمن يجادل

---

(1) - لا حول ولا قوة إلا بالله؛ كان الشرك وتعدد الآلهة أمر شائع ومقبول في تلك الفترة. أما من يفكر أو يحاول استخدام عقله أو ينادي بوحدانية الله سبحانه وتعالى، فهو خارج عن المألوف وتتم محاكمته ويعاقب. وسقراط هنا لم ينادِ بالوحدانية ولم يدع إليها، كل تهمته كانت (الظن) بأنه لا يؤمن بـ«الآلهة» التي تؤمن بها أثينا ! (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالعرف في موضوع تحسمه قواعد الطبيعة، فإن كان يجادل بالطبيعة، راوغته باللجوء إلى العرف. وعندما كان بولس يتحدث عما هو مشين طبقًا لقواعد العرف، هاجمته من وجهة نظر الطبيعة فطبقًا لقواعدها فإن معاناة الظلم أكبر خزي.

لكن اقتراف الأعمال الشريرة هي أكبر خزي طبقًا لقواعد العرف. ومعاناة الظلم لا تليق بالإنسان الحر بل بالعبد. فالحر يفضل الموت على أن يهينه أحد أو ينتقص من كرامته. والسبب في ذلك هو أن من وضع القوانين هم من الغالبية الضعيفة، لذلك فهم يضعون القوانين طبقًا لوجهة نظرهم. وهم يرون أن الخيانة أمر مشين وجائر. كما يرون أن الظلم هو أن يرغب الإنسان في أن يكون لديه أكثر مما لدى الاخرين. ولأني أعلم أنهم منحطون؛ فأنا أشك في أنهم سعداء بالمساواة. لذلك كان السعي للحصول على الكثير والكثير يعتبر طبقًا للعرف مشين وجائر ويسمى بالظلم. في حين أن الطبيعة ذاتها توحي بأن من العدل استكثار الخير وتفضيل القوي على الضعيف.

وهناك صور كثيرة في حياة كل الشعوب توضح أن العدل يتمثل في السيادة وفي امتلاك الإنسان ما يتفوق به على من هو أقل منه. وهناك أمثلة عديدة لغزوات حدثت من أجل تحقيق ذلك التفوق. لكن لعل الناس لا يعلمون أن هذا القانون المزيف الذي اصطنعناه أفقدنا أقوى الشباب وأفضلهم. دربناهم كما تروض الأسود وفتناهم بالكلام الحماسي. ولو كان من بينهم من يملك قوة كافية لتحرر من كل هذا وداس بأقدامه على كل جُمل التشجيع والتحفيز وكل القوانين. وأعتقد أن هذا هو رأي بندار الذي ذكره في قصيدة قال فيها:

القانون سيد الجميع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سواء تمشى مع الأخلاق أم لا

وهو يقول عن نفسه

بالقوة تصل إلى الحق،

والبطش هو يده الطولى

Telegram:@mbooks90

وأنا أؤكد بصراحة شديدة أن من يحيا يجب أن يسمح لرغباته أن تزيد إلى أقصى حد ممكن. ولا يكبحها، لكن يجب أن يملك من الشجاعة والذكاء ما يجعله يتحكم فيها عندما تبلغ أقصى درجاتها حتى يحقق كل ما يريد. وهذا هو ما أؤكد أنه النبل والعدل الطبيعيين. وهذا أمر يستطيع كثير من الناس تحقيقه، وهم في نفس الوقت يرون أن الانغماس في الملذات انحطاط. وكما كنت أقول من قبل يستعبد الناس أنبل الطبائع ولا يستطيعون تحقيق أي بهجة. ولكن وبسبب جبنهم يمتدحون الاعتدال والعدالة

أما إذا كان الإنسان ابنًا لملك أو شخص قادر على تكوين امبراطورية أو صاحب سلطة مطلقة، فلن يكون هناك ما هو أحط أو أسوأ من الاعتدال بالنسبة له.

لا يا سقراط ... أنت تدعي أنك وهبت نفسك للحقيقة. وهذه هي الحقيقة: الترف والفجور والانغماس في الملذات تعتبر سعادة وفضيلة إن لقيت قدرًا مناسبًا من التأييد. وكل ما عدا ذلك مجرد تزيين وعرف مناقض للطبيعة، واختراعات كثيرة قدمها الإنسان ولا قيمة لها.

سقراط: هناك صراحة نبيلة في تناولك للحوار يا كالكليز، وما تقوله يعرفه الجميع لكنهم لا ينطقون به. وأنا أنصحك بالاستمرار في ذلك كي نصل إلى حكم صادق على الحياة البشرية. لكن أنت ترى أن مشاعر الشخص المثالي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سليم التطور يجب أن تخضع للتحكم فيها، وأن نتيح لها الوصول إلى أقصى مدى ممكن وأن هذه هي الفضيلة). أليس كذلك؟

كالكليز: نعم هذا هو ما قلته.

وتستمر المحاورة ويضطر سقراط كالكليز إلى أن يميز ما بين ما هو سار وما هو خير. كما وافق كالكليز على مضض وبجفاء شديد على أن ما نرغبه ليس مفيدًا دائمًا وأن أجسامنا إذا مرضت لا يمكننا كبح بعض رغباتها.

سقراط: ألا يتناول الجدل (النفس) يا سيدي العزيز؟ فإن كانت النفس في حال سيء أو منغمسة في الملذات أو مدنسة أو ظالمة، إلا يجب أن نسيطر على رغباتها ونمنعها من إتيان أفعال لا تهدف إلى تقويمها.

كالكليز: نعم

سقراط: وسيكون ذلك في صالحها؟

كالكليز: بالتأكيد.

سقراط: والتحكم في رغباتها عقاب لها.

كالكليز: نعم.

سقراط: إذن فالتحكم في النفس وتعنيفها خير لها من الانغماس في الملذات وغياب الرقابة. أليس هذا ما كنت تقوله قبل قليل؟

كالكليز: أنا لا أفهمك يا سقراط؟ اسأل من يفهمك.

سقراط: هذا رجل لا يطيق من يقومه أو يصلحه.

كالكليز: لا يهمني ما تقول، وقد أجبتك الآن فقط مجاملة لجورجياس.

سقراط: فماذا نفعل الآن؟ هل ننهي المحاورة وهي لا تزال في منتصفها؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالكليز: أترك لك تقرير ذلك.

سقراط: الناس يقولون إن أي قصة لها رأس وألا تنتهي عندما تصل إلى المنتصف. ويجب عليّ ألا أقبل حوار يدار بلا رأس. لذلك أرجوك أن تستمر قليلاً وتجعل لهذا الحوار رأسًا.

كالكليز: يالك من طاغ يا سقراط. استرح أنت ومحاوراتك، أو ابحث عن شخص أخر غيري تحاوره.

سقراط: من غيرك مستعد لذلك؟ أريد أن أنهي المحاورة.

كالكليز: ألا تستطيع أنهاء المحاورة دون مساعدتي؛ ألا يمكنك ذلك إن اكتفيت بالاستمرار في حديثك أو سألت وأجبت بنفسك؟

سقراط: هل لي أن أردد مع أبيخارموس قوله: «تحدث اثنان من قبل، والآن يكفي واحد فقط.» سأفترض عدم التعاون على الإطلاق. وإن كان عليّ أن أواصل بمفردي، فسأقول ملاحظة أولاً وهي أني لست وحدي. ويجب أن يكون لكل منا طموح ليعرف ما هي الحقيقة وما هو الزيف في هذا الموضوع. وذلك لأن اكتشاف الحقيقة أمر في صالح الجميع.

إذن أواصل الحوار وحدي طبقًا لوجهة نظري الخاصة، وإن ظن منكم أحد أني توصلت إلى نتائج غير صحيحة يجب أن يستوقني ويفند ما عنده من أسباب. سأتحدث مفترضًا أن المحاورة لابد أن تستكمل، وإن كنتم ترون غير ذلك، فلنكف ويذهب كل منا إلى حال سبيله.

جورجياس: أظن أننا لا يجب أن نذهب لحال سبيلنا يا سقراط قبل أن تستكمل محاورتك، وأرى أن هذه هي رغبة الجميع. وأنا عن نفسي أحب جدًا أن استمع إلى المزيد من كلماتك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: وأنا أيضًا أريد استئناف المحاورة مع كالكليز يا جورجياس، لكن ما دمت يا كالكليز لست مستعدًا لاستكمالها، فإني أرجوك أن تستمع إليّ وتقاطعني إن ظننت أني مخطئ، وإن أفحمتني بالحجة لن أغضب منك مثلما غضبت مني. بل إني سأكتب على شاهد قبري أنك أعظم المحسنين.

كالكليز: يا صديقي العزيز، لا تهتم بي واستمر.

سقراط: استمع لي إذن. سألخص المحاورة. هل السرور والخير يستويان؟ لا أنهما ليسا نفس الشيء. وأنا وكالكليز متفقان على ذلك. وما الذي يسعى إلى الآخر؛ البهجة تسعى إلى الخير أم الخير يسعى إلى البهجة؟ الخير يوجد في كل ما يتحلى بالفضائل التي فينا، في أجسامنا أو في أنفسنا أو في الآلات أو البشر. ألست أنا على صواب؟ أنا متأكد أني على صواب. ثم[1]:

- أليست الفضيلة هي كل شيء يعتمد على النظام والترتيب؟ نعم. وما يجعل أي شيء خيرًا هو النظام الفطري الدقيق في كل شيء؟ هذا هو رأيي.
- أليست النفس التي لها نظام خاص بها أفضل من نفس بلا نظام؟ بالتأكيد.
- أليست النفس التي تتبع نظامًا جيدة؟ بلا شك.
- أليس كل ما هو منظم معتدل؟ بالتأكيد.
- أليست النفس المعتدلة خيرة؟

ليس هناك أي رد عندي على هذا السؤال، هل عندك جواب يا كالكليز العزيز؟

كالكليز: استمر يا صديقي.

---

(1) - بدأ سقراط هنا يطبق ما اتفق عليه عندما رفض كالكليز مواصلة الحوار؛ من أنه سيتولى الحوار بنفسه فقط، فهو يقول الأسئلة ويجيب عليها. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: إذن ... أضيف أنه إن كانت النفس المعتدلة نفسًا خيرة، فإن النفس التي على حال مغاير نفس شريرة، وهي حمقاء ومتطرفة. إنها نفس شريرة، هذا عين الصواب.

الخير والشر

أليس الشخص المعتدل هو ذلك الذي يفعل ما يرضي الآلهة والناس. فهو لن يكون معتدلاً إن لم يفعل؟ ولابد له أيضًا أن يكون شجاعًا؛ وذلك لأن الشخص المعتدل يلتزم بما قطعه على نفسه ويتجنب ما لم يلتزم به. ولذلك يا كالكليز فإن من وصفناه بأنه معتدل وشجاع ومتدين لا يمكن أن يكون شخصًا خيّرًا تمامًا، كما أن من يعمل شيئًا على أفضل طريقة لابد أن يكون سعيدًا ومباركًا. والشرير الذي يرتكب الشرور لابد أن يكون بائسًا.

أقول لك يا كالكليز، لو أن هناك من لطمك على أذنك بالخطأ، أليس هذا من أسوأ الشرور التي قد تحدث للإنسان. وكذلك إن جرحت وجهي وشققت كيس دراهمي، والأسوأ هو أن تضربني وتذبحني وتنكل بمن حولي بالخطأ فهذا شر أكبر وأمر مشين. وليس لنا أن نكرر القصة القديمة بأن من يحب يمكن أن يقتلني وينهب مالي، لأني سأرد بتكرار الإجابة القديمة، وهي أن أسوأ إنسان هو من يقتل الخير. ولن يكون المال مفيدًا له في أي شيء. سينفقه في الشر لأنه كسبه من الشر.

كالكليز: يا لك من رجل واثق يا سقراط، تعتقد أنك لن يصيبك أي ضرر أبدًا. يبدو أنك تظن أنك تعيش في بلد آخر ولن تحاكم أبدًا، وفي الحقيقة من الممكن أن يقاضيك أي شخص بائس أو حقير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط يتوقع نهايته

سقراط: إذن ... لابد أن أكون أبلهًا يا كالكليز إن لم أكن أعلم أن في أثينا أي شخص من الممكن أن يعاني من أي شيء. وإن قدمت للمحاكمة وتحملت الأخطار التي حدثتني عنها؛ لأن من يقاضيني شرير، أنا متأكد من ذلك. وذلك لأنه ليس هناك رجل طيب يمكن أن يتهم بريئًا. ولن أُدهش إن حكموا عليّ بالإعدام ... أتريد أن تعرف لماذا أتوقع ذلك؟

كالكليز: بكل تأكيد.

سقراط: أعتقد أني الأثيني الوحيد على قيد الحياة الذي يمارس فن السياسة بطريقة صحيحة. أنا السياسي الوحيد في عصري. لذلك فأنا عندما أقول رأيًا لا يرضيهم وأرغب في الأفضل وليس فيما يزيد رضاهم. وأنا لا أهتم باستخدام الفنون والفضائل التي توصي بها أنت، وليس عندي ما أقوله في ساحة المحكمة. سيحاكموني مثلما يحاكم أي طبيب في المحكمة لأن طباخًا يتهمه. فماذا يمكن أن يكون رده؟ ماذا يمكن أن أقول لمن يتهمني بأني أفسد الصغار والشباب وأقدم لهم جرعات مريرة وأدفعهم إلى الجوع والعطش. وما ظنك برد يقدمه طبيب يجد نفسه في هذا المأزق؟ ربما يقول: «فعلت كل هذا يا أولادي من أجل صحتكم. ألن يختلف المحلفين حول ما سيحكمون به عليه؟ وسيعلو صياحهم؟

كالكليز: أعتقد ذلك.

سقراط: ألن يكون ذلك الطبيب في حيرة تامة بحثًا عن جواب؟

كالكليز: سيكون كذلك بالتأكيد.

سقراط: وأنا أيضًا سأحاكم بنفس الطريقة. وسأعلم إن قدمت للمحاكمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنني لن أستطيع أن أقدم للناس تلك المباهج التي أقدمها لهم. ولو أن هناك من يقول إني أفسد الشباب وأبلبل أفكارهم، أو أنني أتحدث بالسوء عن المسنين وأسبهم سواء في السر أو العلن، فليس من المُجدِ أن أرد عليه قائلاً: «كل هذا أفعله من أجل العدالة وتلبية لرغباتكم أيها القضاة.» ولذلك فإني أعلم ما يمكن أن يحدث لي.

كالكليز: وهل تظن يا سقراط أن من يعجز عن الدفاع يكون في موقف جيد؟

سقراط: نعم يا كالكليز إن كان لديه ذلك الدفاع الذي قررت أنت أنه يجب أن يكون. وأنه لم يخطئ في حق إله أو في حق البشر. وأنا واثق من نفسي يا كالكليز ولست متبرمًا من الموت. فلا يخشى الموت إلا الجبان ومقترف الذنوب، لأن من يذهب إلى الدار الآخرة وهو محمل بالخطايا، سيكون الموت هو أسوأ الشرور بالنسبة له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفلاطون وأرسطو

الفصل الثالث

الخلفية التاريخية

عندما نفذ حكم الإعدام في سقراط عام 399 ق.م. كان في السبعين من عمره تقريبًا. وكان أفلاطون صديق سقراط وتلميذه (الذي ندين لعبقريته وإخلاصه لأستاذه الكبير بأغلب ما نعرف عن سقراط) في الثلاثين من عمره تقريبًا. وكان تاريخ الإغريق في فترة حياتهما مليء بالأمجاد والكوارث على حد سواء.

وعندما ولد سقراط، كانت تهديد الامبراطورية الفارسية الشاسعة لبلاد الإغريق قد زال. وفي بداية القرن حل بالمدن الأيونية في أسيا الصغرى الكثير من الخراب والعقاب الأليم لثورتها على حكام داريوس. وقد فشلت المساعدات التي تلقاها الثوار من أثينا في إنقاذهم. وكان ذلك سببًا كافيًا لتعرض بلاد الإغريق ذاتها لانتقام فارسي. وحدث ذلك الانتقام في ماراثون عام 490 ق.م. ثم بعد بعشر أعوام في سلاميز وفي بلاتيا في عام 479 ق.م.

وفي عام 479 ق.م انتصر الإغريق على بحرية داريوس وجيوشه كثيفة العدد، ثم انتصروا على خليفته أكسكيز. وبذلك وضعوا أساسًا ليس لاستقلالهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذاتي فقط؛ بل كان أساسًا تحقق من بعده الكثير من الإنجازات التي تلت ذلك.

أما أثينا التي وقع عليها العبء الأكبر في الحروب الفارسية؛ فلم تبلغ أقصى قوتها السياسية فقط؛ بل بلغت القمة في مجالات الفنون والآداب، لذلك وصفت في كتب التاريخ بـ«مجد البشرية الخالد». وخلال السنوات الأولى من حياة سقراط كانت أثينا تتصدر حلف ديلوس وتعتبر قوة كبرى في المنطقة بفضل مبادرة السياسي الكبير بركليز، وارتدت المدينة أبهى حللها.

أما في الوقت الذي ولد فيه أفلاطون، كانت أثينا قد عادت للحرب مرة أخرى. حيث دخلت في صراع بداية من عام 435 ق.م. لم يكن من الممكن نتجنبه مع اسبرطة المنافس القوي لها وحلف كادمون. وبدأت حرب البيلوبونيزية في عام 431 ق.م. وكانت تلكفتها غالية جدًا حيث استمرت لعدة سنوات دون أن تحسم. ولم تكن أثينا بكل ما لها من قوة بحرية قادرة على توجيه ضربة قاصمة لجيوش اسبرطة. في حين كانت اسبرطة قادرة على الهجوم على أراضي أثينا؛ لكنها أيضًا كانت غير قادرة على مواجهة حصونها المنيعة أو التغلب عليها، ولا حتى على منع الإمدادات البحرية التي تصلها أو تعطيلها.

تحول درامي

بعد موت بركليز في عام 429 ق.م. كان قادة أثينا أكثر رعونة وحبًا للحروب. لذلك فعندما لاحت فرصة لإنهاء الصراع في عام 412 ق.م. لقيت فشلاً ذريعًا لعدم رغبة أيًا من الطرفين في إقرار السلام. أما الحدث الذي أدى إلى تحول حقيقي كبير فوقع في عام 413 ق.م. حيث احتل الاسبرطيون ديسليا في منطقة أتيكا فحرموا أثينا من مواردها الداخلية. وقد عادت حملة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أثينا الطموحة إلى صقلية في الخريف بهزيمة تامة. واضطربت السياسة الداخلية لأثينا وتحطمت قواتها البحرية وحوصرت أثينا واحتلها الأسبرطيون في عام 404 ق.م. وكان ذلك في السنة الثامنة والعشرين من بدء الحرب.

وهكذا جاءت النكبات متعددة الأشكال، فقد كان القضاء على القوة البشرية وعلى الموارد أمرًا شديد الخطر والسوء. لكنه كان أمرًا متوقعًا لأن من شارك في الحرب كثيرون، وكانت الخسائر تفوق كل ما عانته البشرية في حربين عظميين في القرن العشرين. لكن الأثر الشديد الذي اهتم به الجميع هو ذلك التدهور الحاد الذي حدث في أثينا التي كانت ذات عظمة وبهاء في يوم ما. وقد مس ذلك الانهيار الحياة السياسية بشدة.

وبعد انتهاء الصراع، اعتاد الناس على قسوة الحياة الجديدة عديمة الرحمة، فقد أصبح استخدام القوة وامتهان العادات والتقاليد أمرًا شائعًا. لذلك فإن أفلاطون المتأثر بسقراط من جهة والذي لا يميل للواقعية من جهة أخرى؛ كان يدعو للطريقة الساخرة بين السفسطائيين. وكان النظام البائس في أثينا لا يزال في سنواته الأولى -حسب رأيه- قد بلغ ذروته. وذلك لأنه نفذ حكم الإعدام في صديقه سقراط. وقد كان لتنفيذ ذلك الحكم أثرًا عميقًا عليه. وربما يكون هذا الحدث هو ما جعله فيلسوفًا.

أفلاطون يهجر السياسة

كان أفلاطون من أسره معروفة في أثينا، ولذلك لم يكن هناك مفر من أن يكون للأسرة وجود سياسي. وقد كانت تطلعات أفلاطون الأولى سياسية، إلا أنها سرعان ما تغيرت تدريجيًا. وقد كتب عن ذلك فيما بعد وقال: «في البداية كنت متحمسًا للعمل السياسي، وكنت لا أستطيع متابعة كل ما يدور حولي بالسرعة اللازمة. وأخيرًا توصلت إلى أن كل مدن هذا الزمان يساء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حكمها. ولذلك أنسحب من مجال السياسة على أمل أن أجد في الفلسفة أساسًا لإدارة الأمور يخلصنا من البلبلة والخطأ الشديد الذي نراه من حولنا.»

الحكومة المثالية

ولابد لنا أن نقول إن الديموقراطية في أثينا بعد بركليز كانت تعطي السلطة لأصحاب النفوذ الذين استمالوا الشعب الجاهل، وكان أصحاب النفوذ هؤلاء من الجهلة معدومي الكفاءة. وكان أفلاطون يميل إلى فكرة الحكومة التسلطية، قد لا تكون محبة للخير تمامًا قدر ما هي مستنيرة فلسفيًا، يكون أفرادها من خبراء الميتافيزيقا، وكان مثله الأعلى هو الحكم المتسلط (الملك الفيلسوف) إلا أنه كان يرى الأمل ضعيف في تحقيق ذلك في بلاد الإغريق. وبعد أن تدخل مرتين في شئون صقلية خاب أمله في تحقيق ذلك النظام الذي يحلم به هناك أيضًا.

وكانت أثينا بعد عام 404 ق.م. غير قادرة على استعادة قيمتها السياسية أو نشاطها السياسي القديمين. وكانت اسبرطة قد اكتسبت سمعة طيبة بعد انتصارها في الحرب؛ إلا أن هذه السمعة أسيء استخدامها ولم تدم طويلاً، وامتدت فترة تسيد طيبة التي أعقبت ذلك فترة قصيرة وغير مستقرة. وقد اتخذت السياسة طريقًا قلل من شأنها وهو طريق المؤامرات والعنف.

العلاقة بين أرسطو وأفلاطون

ربما تعود العلاقة بين أرسطو وأفلاطون إلى عام 368 ق.م. وكان أرسطو في الثامنة عشر من عمره وقد جاء من ستاجيرا في شمال بلاد الإغريق للدراسة في أكاديمية أفلاطون في أثينا. وكان أبوه يعمل طبيبًا في البلاط المقدوني. ولو لم يمت الأب وهو في سن الشباب لكان من المتوقع أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرى ابنه أرسطو يسير على نهج أبيه ويعمل بالطب. إلا أن أرسطو ظل في أكاديمية أفلاطون لمدة عشرين عامًا. ولم يتركها إلا بعد أن مات أفلاطون في عام 348ق.م. وكان قد أنشأ فرعًا مهمًا للأكاديمية في آسوز في آسيا الصغرى. وبعد عدة سنوات استدعي سقراط إلى البلاط المقدوني ليكون معلمًا لولي العهد، الاسكندر.

في ذلك الوقت كان من الواضح أن موازين القوى في بلاد الإغريق قد تغيرت تمامًا. فلم تعد المدن القديمة التي اعتاد عليها أفلاطون وأرسطو مستقلة. ولم تعد منافسة لمملكة مقدونيا. وعند قيام الاتحادات كانت دائمًا غير مستقرة إلى حد كبير. وكان الملك فيليب الحكيم يتفوق عليها دائمًا بما لديه من جيوش جرارة وموارد متعددة. وقد اتضح ذلك عندما هُزم جيش مشترك بين أثينا وطيبة على أيدي المقدونيين. لكن فيليب في حقيقة الأمر لم يكن راغبًا في استعباد الإغريق. وكان هدفه الأول هو قيادة كل قوى الإغريق ضد الإمبراطورية الفارسية. وكان ينوي التقدم في هذا المشروع لولا أنه اغتيل في عام 336 ق.م. وهكذا كان على وريثه (الاسكندر الأكبر - تلميذ أرسطو) أن ينفذ مشروع أبيه.

وفي نفس تلك الفترة تقريبًا كان أرسطو قد عاد إلى أثينا، وكان رئيس أكاديمية أفلاطون في ذلك الوقت هو أكسينوكراتيس وكانت طريقته الفلسفية صوفية، وكان أرسطو لا يرضى عنه، لذلك فقد أنشأ مدرسة خاصة به. عرفت تلك المدرسة باسم مدرسة المشاة. وكان يطلق على من يلتحق بها اسم المشاء. وقد تطورت هذه المدرسة ونظمت أفضل تنظيم، فأصبحت مركزًا للبحث الفلسفي. إلا أن موت الاسكندر المفاجئ وهو لا يزال في الثانية والثلاثين من العمر مهد لقيام ثورة عارمة في أثينا. وكان أرسطو -بسبب علاقاته مع المقدونيين- محل هجوم. فاتهم بتهمة أكثر سخافة مما أتهم به

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط؛ حيث اتهموه بـ«الالحاد». إلا أنه لم يفوت فرصة الهروب مثلما فعل سقراط. ففر إلى مدينة خالكيس وظل هناك إلى أن مات وكان في الثالثة والستين من العمر.

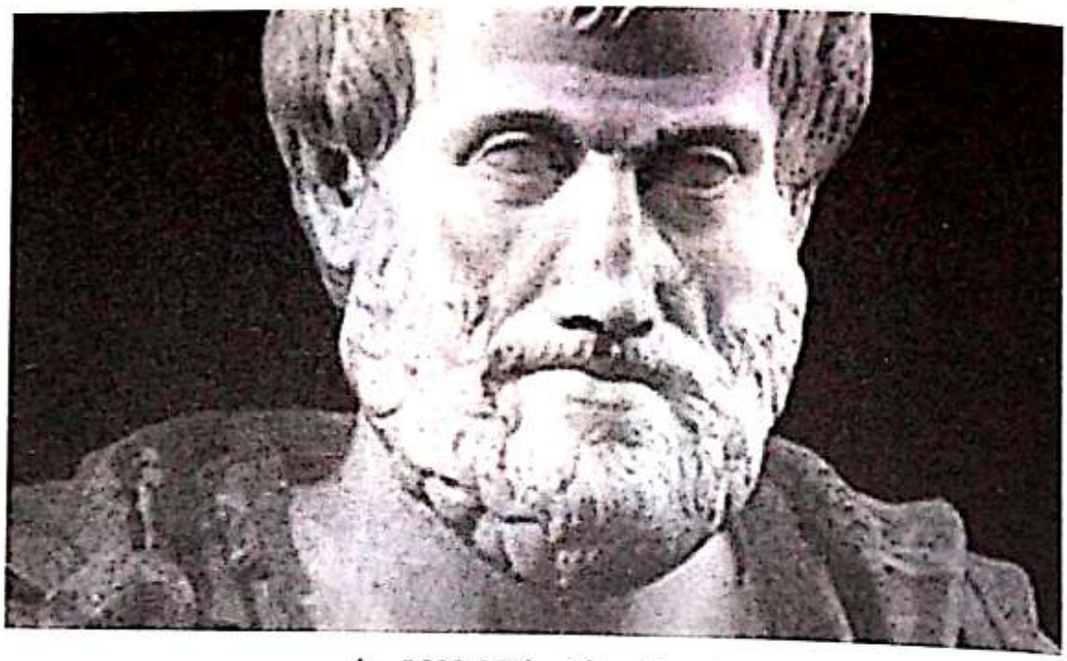

الاسكندر الأكبر (356-323 ق.م)

وهكذا امتدت حياة أفلاطون وأرسطو لمدة تزيد عن مائة عام؛ كان خلالها التاريخ الإغريقي حافل بالأحداث السيئة. ولم يكن الإغريق في تلك الفترة قادرين على استعادة أمجادهم ضد الفرس. وقد كانت كل ما مرت به تلك البلاد من انتصارات وهزائم مهلكة وتكاد تكون انتحارية.

إلا أن تلك المدينة القديمة (أثينا) المستقلة عما حولها من أحوال. كان الناس يعيشون في مجتمعها المحدود متحدين. ولم يحدث طوال سنوات التراجع والتدهور أن انتشر بين الناس شعور بالفشل والخطر الشديد، لكن ربما يكون ذلك الإحساس قد انتشر في السنوات التالية. ورغم كل ذلك رأى أفلاطون وأرسطو وإيسوقراط أن ظروف الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الإغريق إن لم تكن بخير حال دائمًا؛ فهي على أسوأ تقدير يمكن علاجها. أي أنهم جميعًا لم يفقدوا الأمل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

أفلاطون (427-347 ق.م.)

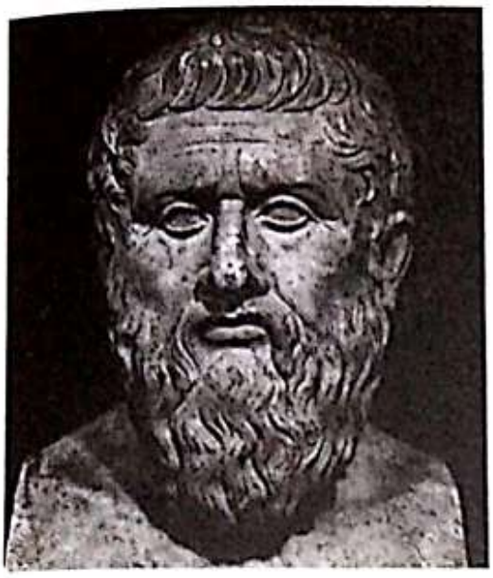

كان أفلاطون مبتدعًا حقيقيًا في مجال الفلسفة، لم تقدم القرون التالية له نظيرًا له. وكان لأرسطو تأثيرًا عميقًا وواضحًا على الفلسفة في نفس الفترة (قد) يبدو مماثلاً لأفلاطون. إلا أن هناك ما يؤكد عكس ذلك لأن أرسطو كان يقول عن نفسه أنه أفلاطوني. كما أن أفلاطون لم يتأثر بسقراط إلا في موضوعات محددة وإن كان ذلك التأثير شديدًا. وكان مجال عمل أفلاطون ضخم ومتشعب جدًا لدرجة تجعل أي تقرير عنه غير كاف أو شامل. كما أن محاوراته الكثيرة جدًا لا تتبع أسلوبًا واحدًا أو مبادئ ثابتة تحكمها. كما أن أفلاطون نفسه يجعلنا ندرك من أعماله المنشورة أنها لا تشتمل كل ولا حتى أهم مبادئه التي كانت تُدرس في الأكاديمية بالفعل. وكان يردد أن أفضل فكر للإنسان يجب أن يدخر لمناقشة حية محدودة وسط عدد من أتباعه وأصدقائه. وإن كنا نريد التعرف على ما كتب؛ فهو متنوع ومتواتر، وكان من عادات أفلاطون أنه يتلاعب بتلك الموضوعات ويستخدمها في عدد كبير من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاهتمامات الأخرى ويدمجها من خلال اهتمام واحد أو أثنين من اهتماماته الرئيسية.

ولقد رأينا بالفعل قدرة سقراط على الجدل في مرافعته ضد الاتهامات التي وجهت له واعتمدت على نصف الحقيقة والشعارات الرنانة، فخلقت نوعًا من الجدل أثاره في دفاعه. وهكذا كان المنهج الجدلي موجود في محاورات أفلاطون أيضًا. ومع مرور الوقت مر بكثير من التغيرات وخضع لكثير من الضوابط.

محاوراته

في المحاورات الأولى لأفلاطون؛ لم يكن سقراط هو الشخصية الرئيسية فقط، بل إن أفلاطون استخدم أسلوبًا سقراطيًا واضحًا أيضًا في محاوراته المتأخرة. وعندما تم تنفيذ حكم الإعدام في سقراط؛ كان تأثيره على مؤلفات أفلاطون لا يزال شديدًا وواضحًا. وفي تلك المحاورات نلاحظ تأثير سقراط؛ فالمنهج الجدلي منهجه والموضوعات التي تناولتها المحاورات مثل: «الاعتدال» في محاورة خارميدس و«الشجاعة» في محاورة لاخيز هي موضوعات طرحها سقراط؛ إلا أن المحاورات كانت تهدف إلى ادخال تعديلات على تعريف تلك الموضوعات.

وهناك أحد أبرز نقاط الاختلاف بين أفلاطون وسقراط التي ظهرت من خلال تلك المحاورات. وهي استنباط الأحكام العامة من أمثلة فردية؛ مثل أن نقول إن المتدينين يتوجهون إلى الكنيسة ونستنتج من ذلك أن الدين هو «التردد على الكنيسة». ومما لا شك فيه أن سقراط كان على علم بهذا النوع من الخطأ. لكن أفلاطون جاء ليميز هذا الخطأ ويفسره تفسيرًا خاصًا. فوضع نظرية الأفكار، لكن تلك النظرية لم تصل إلى نتيجة في النهاية وكانت مثار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حوار طويل في الأكاديمية لسنوات عديدة. وكان الناس يرونها ميزة سامية يتميز بها أفلاطون وتلاميذه.

لكن، في أي مرحلة بالتحديد بدأ أفلاطون يفكر في تلك الصور التي رأى أنها موجودة بالفعل فيما فوق الإدراك، فهذا موضوع لا يزال محال نقاش. وإن كان ذلك واضح جدًا في المحاورات المتقدمة التي تحدث فيها أفلاطون عن الأشياء العادية على أنها نسخ من تلك الصور. وكان ذلك أسلوبًا للحديث يعني بوضوح أن الصور والأشياء العادية لها وجودها وقائمة بذاتها.

ونطاق المشاكل التي تناولها أفلاطون والتي تبدو فيها الصور الآن واسع جدًا لدرجة يمكن أن توضح لماذا أعتقد الناس أن تلك النظرية كانت شديدة الأهمية. ويبدو أن أفلاطون في شبابه كان متأثرًا بشدة بنظرية هيراقليطس حول التغير الدائم أو الحركة الدائمة. وهي نظرية تقول بأن هذا العالم ليس فيه ما هو دائم أو مستقر أو ما يظل على حاله لفترة طويلة. وقد سأل أفلاطون نفسه: ما الذي يمكن أن نعلم أنه صحيح إن كانت كل الأشياء في تغير دائم؟ وهل هذه الموضوعات تبحث عن المعرفة الحقة.

اهتمامه بالرياضيات

وهكذا نجد أن أفلاطون بدافع ذاتي وتأثير من فيثاغورس، شديد الاهتمام بالرياضيات والتي كانت تعني «الهندسة» بصفة أساسية في ذلك العصر. فعندما يتحدث علماء الهندسة عن الدائرة أو المربع فما هو ذلك الشيء الذي يشيرون إليه؟ أليست صور الدوائر والمربعات أشياء غير مدركة وقابلة للتغير!

ويتضح الاستخدام الأهم لتلك النظرية في أهم كتاب من كتب أفلاطون؛

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو في نفس الوقت أهم ما قدم من محاورات؛ إنه كتاب «الجمهورية». ففي تلك المحاورة لجأ أفلاطون إلى الصور ليس فقط في تعريف المعرفة بل في تعريف الفلسفة أيضًا. كما قدم فيه مفهومًا جديدًا للمنهج الجدلي. وفي الجمهورية أيضًا يعرض أفلاطون كيفية تنشئة ملوك فلاسفة وكيف يمكن أن يكونوا حكامًا.

الخـير

وفي نفس الكتاب أيضًا تحدث أفلاطون كما لو كانت صورة الخير هي الخالق والمنظم لكل الأشياء الأخرى. لكنه لم يدعِ لا في هذه المحاورة ولا في أي محاورة أخرى أنه قد بلغ درجة البصيرة التامة الكاملة؛ وذلك بالرغم من أنه يقول إن هذا الإنجاز هو هدف جدلي أساسي للفيلسوف. ولعله لم يكن يملك بالفعل سوى القليل مما يمكن من تحقيق ذلك الهدف.

لكن أفلاطون قدم لنا صورة شهيرة لا يمكن نسيانها في الجزء السابع من كتاب الجمهورية. فقد حاول في تلك الصورة جعل القارئ يدرك المعنى الكامل للتنور الفلسفي. أو كما يقول هو إن لم نستطع أن ننطلق في هذا الاتجاه فسنظل في الكهف وهو موطن للوهم والخطأ، ولن نكوّن فكرة واضحة عن الحياة الصالحة لنا أو لغيرنا. وبالتالي لن نتمكن من فرض النظام على عالم حائر. وفيما يلي هذا الاقتباس من ذلك الجزء المعنون «الكهف»:

قلت: إليك هذه الصورة الرمزية عن التعليم والجهل في أحوال حياتنا. تخيل أن بني البشر يعيشون في كهف تحت الأرض له مدخل طويل ينفذ من خلاله الضوء إلى أعماق الكهف. والناس تعيش فيه منذ الطفولة وهم مغلولي الأرجل والأعناق، بحيث يظلوا في أماكنهم. كما أنهم لا يستطيعوا تحريك رؤوسهم لليمن أو اليسار. بإمكانهم فقط النظر إلى الأمام. ويأتيهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضوء من نار بعيدة مرتفعة. وما بين هذه النار وهؤلاء المساجين طريق أعلى من مستواهم، وبطول الطريق لك أن تتخيل وجود حائط منخفض مثل ذلك الذي يعرض محركي العرائس عرائسهم من خلفه.

قال: نعم ... أنا أتخيل ذلك.

قلت: وتخيل أن حمالين يحملون على طول هذا الجدار كل أنواع الأشياء التي تظهر من الحائط وهم يحملونها مثل تماثيل الرجال وغيرها من كائنات حية، وكلها مصنوعة من الأحجار والخشب وكل أنواع المواد الخام. بعض الحمالين يتحدث وبعضهم صامت. كما قد تتوقع.

قال: إنها صورة عجيبة لسجناء عجيبين.

قلت: إنهم مثلنا ... ولكن وقبل كل شيء أخبرني ما ظنك بأولئك الذين لم يروا بعضهم أبدًا؛ بل رأوا ظلالهم التي يعكسها ضوء النار على الجدار الكهف؟

قال: أعتقد أنهم لن يروا أي شيء آخر إن ظلوا مجبرين على عدم تحريك رؤوسهم.

قلت: وماذا عن المنقولات؟ أليست هي نفس الأشياء.

قال: ربما.

قلت: لنفترض أن لسجناء كانوا قادرين على التحدث مع بعضهم. إلا تعتقد أنهم سيطلقون أسماء الظلال التي يرونها تتحرك، وهم يظنون أنها أشياء حقيقية.

قال: بالتأكيد.

قلت: وماذا لو كان لسجنهم صدى من الجدار المقابل، وأحد الحمالين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصدر صوتًا، سيعتقدون أن الظل العابر قد أحدث ذلك الصوت. ألا تعتقد ذلك؟

قال: نعم بالتأكيد.

قلت: ولو حدث ذلك سيعتقد أولئك المساجين أنه لا توجد حقائق سوى تلك الظلال التي يرونها.

قال: لابد أن يكون الأمر كذلك.

قلت: فكر الآن كيف يمكن إطلاق سراحهم وتجريدهم من الأغلال وأي قدر من الحماقة. لو حدث في الطبيعة مثل ذلك، نطلق سراح أحدهم ونمكنه من تحريك رأسه يمينًا ويسارًا. إنه سيرى النار وينبهر بصره. سيرى كل الأشياء التي رأى ظلالها من قبل. فما بالك بما يمكن أن يقوله إن أخبره أحدهم أن ما رآه من قبل ما هو إلا صور وما يراه الآن هو الحقيقة؟ وماذا لو عرض عليه كل شيء من الأشياء التي مرت صورها عليه من قبل ليقول اسم كل منها؟ سيكون في حيرة من أمره. سيعتقد أن ما رآه من قبل أكثر واقعية مما يراه الآن.

قال: نعم بالتأكيد ... سيكون في حيرة.

قلت: وإن افترضنا أن عليه أن ينظر إلى ضوء النار، ستؤذي عينيه، وسيدير رأسه باتجاه أشياء أخرى يمكنه النظر إليها دون تضرر. سيعتبرها أكثر وضوحًا مما عُرض عليه.

قال: سيفعل ذلك.

قلت: ولنفترض الآن أن شخصًا ما سحبه بالقوة ليصعد منحدرًا صعبًا ولا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتوقف أبدًا حتى يتمكن من إخراجه إلى ضوء الشمس، ألن يحزن ذلك الرجل ولن يستطيع أن يرى شيئًا واحدًا من الأشياء التي تعتبر الآن حقيقية.

قال: لن يصل إلى تلك النتيجة على الفور.

قلت: لابد له في البداية من التعود على الحياة في الضوء بالتأكيد. هذا هو اعتقادي. وإن كان عليه أن يرى الأشياء التي ذكرناها فيما قبل، سيجد بعد ذلك أنه من السهل عليه أن يراقب السماء في الليل ويلاحظ كل ما فيها. وسيتأمل القمر والنجوم بأضوائهما وسيكون ذلك أيسر عليه من تأمل الشمس وضوء النهار.

قال: بالتأكيد.

قلت: وفي النهاية ستكون الشمس آخر ما يتطلع إليه، ربما لن يستطيع النظر إليها مباشرة لذلك سينظر إلى انعكاسها على الماء أو يراقبها وقت الغروب.

قال: نعم ... هذا أمر حتمي.

قلت: وبعد كل ذلك سيجادل في شأنها ويفكر فيمن يدير كل هذا الكون بانتظام. وسيفكر في سبب لكل ما رأته عيناه.

قال: نعم من الواضح أنه سيتوصل إلى ذلك في نهاية الأمر.

قلت: حسن جدًا، فلنذكره بمكان إقامته الأول، وما كان عليه من حكمة. ونذكره أيضًا بزملائه السجناء هناك. ألا تعتقد أنه سيحمد الله على ما طرأ عليه من تغيير ويأسف لحال زملائه؟

قال: بكل تأكيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: لكن تصور إذن ... وهو مجرد تصور. لو عاد مثل هذا الشخص إلى الكهف مرة أخرى وعاد إلى مقعده القديم. ألن يعود إلى ظلام تام بعد أن رأى الشمس الساطعة؟

قال: هذا صحيح تمامًا.

قلت: وإن كان عليه أن ينافس من كانوا دائمًا سجناء، وأن يعود إلى حاله التي كان عليها. ألن تستغرق عيناه وقتًا قبل أن تعتاد على الظلام الدامس؟ كما سيسخر منه الجميع لأنه أضر ببصره لأنه خرج وصعد إلى أعلى. وسيرون أن ذلك الصعود لا يستحق العناء. وربما يحاولون قتل من يحاول إطلاق سراحهم والصعود إلى القمة. ربما يتجمعوا حوله ويقتلوه.

قال: نعم ... سيفعلون ذلك.

قلت: إذن فلنطبق هذه الصورة يا عزيزي جلوكون على كل ما نقوله. العالم من حولنا أشبه بذاك السجن، ووهج النار مثل ضوء الشمس هنا. والصعود هو ارتقاء النفس إلى عالم الفكر. فسر الأمر هكذا ولن تكون بعيدًا عن حدسي الشخصي. لكن الله أعلم إن كان هذا الواقع صحيحًا. ففي عالم المعقول نهاية بحثنا في كل شيء هي الخير.

قال: أنا أؤمن بما تقول قدر استطاعتي.

قلت: إذن فلتؤمن أيضًا أن من يصلون إلى هذا الارتقاء ليسوا على استعداد للمشاركة في شئون الناس بل إنهم في نضال دائم ليظلوا في سموهم.

قال: نعم ... هذا صحيح.

قلت: لكن هل تظن أنه من المدهش أن يترك أحدهم التأملات المقدسة ويتأمل شرور الناس. هل هو أخرق أم أبله؟ ستكون عيناه لا تزال لم تعتد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما حوله من ظلام. ولكنه سيظل يناضل في المحاكم وأمام القضاة ويتشاجر حول أفكار عادلة مع من لا يعرفوا معنى العدالة أبدًا.

قال: لا يوجد ما يدعو إلى الدهشة أبدًا.

قلت: لكن أي عاقل سيعرف أن العين تضطرب عند الانتقال من الظلام إلى النور ومن النور إلى الظلام. كما يؤمن بأن نفس الشيء يحدث للنفس أيضًا. كما أنها تضطرب وتعجز عن إدراك أي شيء. وهو لن يسخر ويستخف بها فقط؛ بل سيحاول معرفة سبب ذلك هل هو حياة أكثر إبهارًا أم أنها أظلمت بسبب الاستغراب، أو ربما خرجت من جهل تام إلى نور شديد. وهو يهنئ النفس التي انبهرت بالنور والبريق على طريقتها في الحياة ويشفق على النفس الأخرى أو ربما يسخر من تلك التي تخرج من النور وتتمسك بالظلام.

قال: هذا واضح تمامًا.

قلت: لكن منطقنا يوضح أن هذه القدرة موجودة بالفعل داخل كل منا وأنها السبب المباشر لتعلم كل شخص. فإن كانت العين لا تستطيع أن ترى دون أن تنتقل مع الجسم كله من الظلام إلى النور؛ كان على هذا العضو أن يرافق النفس وهي تخرج من العالم المتغير حتى تصبح قادرة على احتمال رؤية الوجود بأفضل ما فيه من أضواء، وهذا نسميه الخير، أليس كذلك؟

قال: نعم.

قلت: ثم إن هذا العضو الخاص لابد أن يكون له هدف كتحويل النفس أو هدايتها، حيث يوضح لها أن ذلك التحول يمكن أن يحدث بسهولة شديدة. وليس معنى ذلك أننا نجعل العين تبصر فعلاً، فهي تبصر. ولكن معناه أننا نحولها إلى الطريق المستقيم. هذا هو ما يجب أن يحدث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: يبدو ذلك.

قلت: والآن (معظم الفضائل التي يقال إنها تنتمي إلى النفس هي في حقيقة الأمر أقرب إلى الجسد. فهي لا وجود لها في الواقع هناك. لكنها تودع في النفس فيما بعد من خلال العادات والممارسات. لكن فضيلة إدراك كل شيء تنتمي إلى ما هو أكثر قدسية، كما يبدو، لأنها لن تفقد قدرتها أبدًا، فتصبح نافعة ومعينة تارة أو بلا فائدة وضارة تارة أخرى حسب الاتجاه الذي تسلكه. ألا تلاحظ أن هناك من يقال عنه أنه ذكي لكنه بلا قيمة؟ أليس هناك من له بصيرة لكنه مضطر لأن يكون عبدًا للرذيلة؟ لذلك فكلما كانت نظرتنا أكثر وضوحًا كلما كان ما نفعله أكثر شرورًا.)

قال: بالتأكيد.

قلت: لكن لو أمكننا التعامل مع هذا الجزء من الطبيعة منذ الطفولة، وأزيلت كل تلك الهموم الثقيلة من العالم، أقصد تلك الهموم التي تدخل للنفس بسبب ما بها من نهم وبطنة وتجعلها تخجل من نفسها. وأنا أرى أنها لو تخلصت من هذه الهموم واتجهت إلى كل ما هو واقعي لتمكن نفس العضو في نفس الإنسان من تلك الأشياء السامية بوضوح شديد، تمامًا مثلما يرى ما تاقت إليه نفسه.

قال: احتمال كبير.

قلت: أليس إذن من الضروري أن غير المثقفين وقليلو الخبرة لا يستطيعوا إدارة مدينة والإشراف عليها؟ كما لن يتمكن من ذلك من يقضي كامل حياته في التعلم. فالطائفة الأولى ليس لهم هدف عام أو خاص في الحياة يمكن أن يعملوا من أجله. أما الطائفة الثانية فلن يفعلوا أي شيء حتى لو استطاعوا لأنهم يرون أن ما تحقق من إنجازات كاف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: هذا صحيح.

قلت: ثم إنه من واجبنا نحن المؤسسين أن ندفع بأفضل الناس إلى الوصول إلى تلك المعرفة التي قلنا عنها أنها أفضل معرفة والتي تجمع بين تحقيق الخير والصعود الفكري. وعندما يصعدون يدركون ما يتعلمون على أكمل وجه. ولا يجب أن نسمح له بما هو مباح الآن.

سأل: وما هو؟

قلت: البقاء هناك وعدم الاستعداد للهبوط مرة أخرى لأولئك المساجين ومشاركتهم في المتاعب والأمجاد سواء كانت تستحق المشاركة أم لا.

قال: ماذا! أنسيء إليهم ونتركهم لحياة سيئة وهم قادرون على حياة أفضل؟

قلت: لقد نسيت يا صديقي مرة أخرى؛ فالقانون لا يعنيه كيف أن طبقة ما تعيش في رخاء في المدينة تعيش في راحة أكثر من باقي الطبقات. فالقانون يحاول أن يجعل المدينة بصفة عامة في رخاء بجعل المواطن تقليدي وآلي عن طريق الاقناع والإجبار، ويدفع كل منهم إلى تقديم العون للجميع قدر الإمكان مهما كانت طبقته في المجتمع. والقانون يعد أشخاصًا بهذه الطريقة في المدينة، لا ليسمح لكل منهم باتباع طريقته التي تروق له، ولكن حتى يستعين القانون بالجميع في دعم وحدة المدينة.

قال: لقد نسيت فعلاً ... هذا صحيح.

قلت: لاحظ يا جلوكون أننا لن نظلم الفلاسفة الذين يعيشون بيننا، سنكون منصفين لهم. ولن نجبرهم على المشاركة في رعاية وإرشاد الناس. فتنشئة الإنسان لنفسه لها حقوقها، فهو لا يدين بتربيته لأحد، ولا حاجة له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يدفع لأحد ثمن طعامه. لكن أنتم يا من نشأتم مثل ملوك[1] النحل في الخلايا لتكونوا قادة على أنفسكم وعلى أهل المدينة. وكنتم أفضل تعليمًا من الجميع وأكثر قدرة على المشاركة في كلا نوعي الحياة. يجب علكم أن تنزلوا إلى مستوى غيركم وتعتادوا على ظلامها. فإن اعتدتم عليها ستكون رؤيتكم أفضل ألف مرة من رؤية من عاشوا فيها. فأنتم رأيتم الحقائق الكامنة وراء كل ما هو جميل ومفيد. وبالتالي ستدار شئون مدينتنا لصالحنا وصالحكم وبيقظة تامة؛ وليس مثلما هو الحال الآن. حيث يدير شئون المدينة أناس يحاربون بعضهم من أجل ظلال، ويتصارعون على الحكم. لكن في الحقيقة؛ فإن الخير يكون في المدينة التي يحكمها من هم أقل رغبة في الحكم. وهي بالضرورة مدينة أفضل من حيث الإدارة وبها مشكلات أقل. بينما المدينة التي يحكمها من هم راغبون في الحكم ومقبلون عليه، تكون أسوأ المدن إدارة.

قال: نعم ... بالتأكيد.

قلت: وهل يعصانا طلابنا عندما يسمعون هذا الكلام؟ هل سيرفضون المعاونة وجعل كل مجموعة تقوم بدورها في أعمال المدينة، هل سيفضلون قضاء وقتهم في الهواء الطلق؟

قال: من المستحيل أن يرفضوا، فنحن سنسند القيادة إلى أشخاص عادلين، وما من شك أن كل واحد منهم سيتولى القيادة لأنها ضرورة ملحة، وليس سعيًا وراء المنصب مثلما هو حال مدننا الآن.

قلت: ولو استطعنا أن نجد لحكام المستقبل أسلوب حياة أفضل من

---

(1) - اعتاد الإغريق والرومان استخدام التشبيه (ملك الخلية) في كتاباتهم، وليس (ملكة الخلية).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحكم، لكانت المدينة تدار أفضل إدارة. فهم أغنياء ليس بالمال ولكن بما لديهم من الصلاح والحكمة.

قال: هذا صحيح إلى حد كبير.

قلت: إذن، هل تعتقد أن هناك حياة أخرى تحتقر الوظيفة السياسية سوى حياة الفلسفة؟

قال: لا ... وحق السماء.

قلت: فأي الناس إذن ندفعهم لقبول إدارة المدينة سوى من هم أحكم الناس وأقدرهم على حُسن الإدارة، ومن حققوا أمجادًا من نوع آخر ويحبون حياة أفضل من حياة السياسة؟

قال: لا أحد سواهم.

وقد رأيت أنه من أجل زيادة إيضاح الإنتاج الفكري لأفلاطون ألا أجمع مقتطفات متناثرة، وكان من الأفضل أن أعرض جزءًا كبيرًا من ومحاورة واحدة لنعرض قدرًا كبيرًا من أفكاره. ويبدو أن محاورة «مينو» مناسبة لتحقيق هذا الغرض. وهي محاورة تنتمي إلى المجموعة الأولى من مؤلفات أفلاطون؛ وهي أكثر تأثرًا بطريقة سقراط من حيث الشكل والمضمون. كما أنها أقرب إلى أهم اهتمامات أفلاطون نفسه. وهي تعد مقدمة جيدة جدًا لمحاورة «الجمهورية» والتي تناولت نفس التساؤلات التي أثيرت هنا، وهي: ما هي الفضيلة وهل من الممكن أن نتعلمها؟ وقد رد عليها برد أكثر إيجابية من قدرات أفلاطون في تلك المرحلة. كما أن لهذه المحاورة ميزة أخرى وهي أنها واضحة تمامًا وليست في حاجة إلى شرح أو تعليق. إضافة إلى أنها لا تثير أسئلة عن أجزاء من فلسفة أفلاطون قد يتعذر مناقشتها في كتاب محدود مثل هذا الكتاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالرغم من أنه لا يوجد سبب لجعل مثل تلك المحاورة بين مينو وسقراط قد وقعت بالفعل. إلا أنه ليس افتراضًا مستحيلاً. وقد قدمه أفلاطون في هذه المحاورة على أنه شخص قلق إلى حد ما وأنه يتأثر بسهولة بالسفسطائيين. أما الأمر الغريب فهو اشتراك أنيتوس في الجزء الأخير من المحاورة، وذلك لأن أنيتوس هذا هو من قدم اتهامات أدت إلى إعدام سقراط بعد عدة سنوات. ولا شك أن أفلاطون كتب هذه المحاورة بعد تلك الحادثة. وما التحذير الشديد الذي وجه إلى سقراط الذي ينصرف أنيتوس بعده يعتبر حيلة درامية. لكن الأغرب من ذلك هو أن أفلاطون كتب عن أنيتوس باعتدال ومودة، وربما يوحي ذلك بأن أنيتوس لم يكن له أي ضغائن شخصية حين اتهم سقراط.

وتبدأ محاورة مينو بهذه الصورة:

مينو: أخبرني يا سقراط عما يلي:

- هل يمكن أن نتعلم الفضيلة؟
- هل هذا ممكن؟ هل يأتي بالتدريب؟
- أم أن الفضيلة لا تأتي لا بالتدريب ولا بالتعلم، وهي منحة من الطبيعة؟
- أم أن الفضيلة تكتسب بطريقة أخرى؟

سقراط: يا مينو ... لقد تمتع أهل تساليا دائمًا بالإعجاب في بلادنا. فالجميع يراهم فرسان مهرة ورحال أثرياء ذوي عقول راجحة. وهناك العديد من الأمثلة من رجالها ممن يؤكدون ذلك، وأهمهم هو جورجياس. فهو من وضع كل نظمها وهو ينال احترامهم جميعًا بلا استثناء.

أما نحن هنا، فعلى العكس تمامًا يا عزيزي مينو، عندنا عقول عقيمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونصيب أي إنسان من العالم هو أن يحتفظ برأيه حول هذا الأمر. لو سألت أي شخص هنا سؤالك هذا الذي سألته لأي شخص هنا لن تنال سوى السخرية.

سيدي ... يجب أن تؤمن أني ملهم. الفضيلة؟ هل يمكن أن نتعلمها؟ كيف تأتي؟ هل أعرف أنا ذلك؟ وبغض النظر عن إن كنت أعلم إمكانية تدريس الفضيلة أم لا، إلا أني لا أعلم سوى أقل القليل عنها، وأنا حتى لا أعرف ما هي الفضيلة؟

أنا أشعر بنفس الحيرة يا مينو؛ أنا في هذا الموضوع مثل أي فرد منا. ويجب عليّ أن ألوم نفسي لأني لا أعرف سوى أقل القليل عن الفضيلة. وعندما لا أعرف شيئًا ما؛ فكيف أعرف خصائصه؟ ولنأخذك مثالاً يا مينو. لو أحدهم لا يعرفك أصلاً؛ فكيف له أن يعلم أنك وسيم أو غني أو نبيل؟ أو ربما عكس كل ذلك؟ لن يتمكن من ذلك بالطبع.

مينو: لا تضرب بي المثل، ولكن انظر يا سقراط؛ أحقًا أنك لا تعرف الفضيلة؟ هل لنا أن ننشر هذا الخبر عنك في لاريسا؟

سقراط: هذه هي الحقيقة. وأضيف أني لم ألتق بأي شخص يعرف الفضيلة حق المعرفة.

مينو: ماذا؟ ألم تقابل جورجياس عندما كان هنا؟

سقراط: نعم قابلته.

مينو: ألا تعلم أنه يعرف الفضيلة؟

سقراط: ذاكرتي ضعيفة، يا مينو. لكن الآن لا أعلم إن كان كذلك أم لا. لكن ربما يعرف، أو ربما تعرف أنت أنه قال ذلك. ذكرني بما قاله.

مينو: نعم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: فلندعه وشأنه الآن لأنه ليس موجودًا معنا. بحق السماء يا مينو؛ ما رأيك في الفضيلة؟ تكلم ولا تمل مني. ستكون أفضل أكذوبة يمكن أن أرويها؛ لو اتضح أنك تعرف الفضيلة ويعرفها جورجياس. فقد سبق وأن قلت إني لم ألتق أبدًا بمن يعرف الفضيلة.

مينو: أمر سهل جدًا يا سقراط العزيز. أولاً: فضيلة الرجل هي قدرته على أداء الشئون العامة. وهو بذلك يعاون الأصدقاء ويحارب الأعداء ويحرص على ألا يضر نفسه. وبالنسبة للمرأة فالفضيلة أن تدير بيتها بطريقة جيدة وتحفظ الخزين في مكان آمن وتطيع زوجها. وفضيلة الطفل تختلف عن فضيلة الطفلة؛ كما تختلف عن فضيلة شيخ عجوز، كما تختلف فضيلة الحُر عن فضيلة العبد. وهناك عدد كبير جدًا من أنواع الفضائل. لذلك فليس هناك أي صعوبة في تعريف الفضيلة. ولكل منا فضائله في عمله. وأعتقد أننا بنفس الطريقة يا سقراط يمكننا تعريف الرذيلة.

سقراط: يبدو أني محظوظ يا مينو. كنت أبحث عن فضيلة واحدة فوجدت عندك الكثير من الفضائل. لكن دعنا نتناول هذا المثال وهو عن النحل. إن سألتك عن النحل، فأجبتني أن هناك أنواعًا عديدة ومختلفة من النحل. ثم سألتك عن أنواع النحل قائلاً: تقول إن هناك أنواعًا من النحل تختلف عن بعضها، فهل الاختلافات في خصائص النحل أو في حجم النحلة أو جمالها أو غير ذلك؟ ماذا يمكن أن يكون ردك.

مينو: أقول إنه لا اختلاف فيما بينها، فكلهم نحل.

سقراط: ولنفرض أني استمر في تساؤلي وقلت وفيم يكون كل النحل سواء ولا اختلاف بينهما؟ هل تستطيع الإجابة؟

مينو: نعم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: جميل جدًا. إن تناولنا الفضائل أولاً؛ فحتى لو كان منها أنواعًا متعددة؛ إلا أنها تجتمع جميعًا على صفة واحدة، فهي فضائل، ولذلك فإن سأل أحدهم: ما هي الفضيلة؟ يكون معناها واضح في ذهن المرء قبل أن يرد. أتفهمني؟

مينو: أعتقد أني أفهمك. لكني لا أعرف الهدف من سؤالك.

سقراط: هل تعتقد يا مينو أن ما قلته أنت ينطبق على الفضيلة فقط، أعني أنها شيئًا ما بالنسبة للرجل وشيئًا آخر بالنسبة للمرأة إلى آخر ما ذكرت من أمثلة. ألا يمكننا أن نقول نفس الشيء عن الصحة والتعليم والقوة وغير ذلك؟ هل تعتقد أن الصحة شيء ما في الرجل وشيء آخر في المرأة أم أن جوهرها هو نفسه في كل زمان ومكان.

مينو: الصحة هي نفسها عند الرجل أو المرأة.

سقراط: وماذا عن حجم الإنسان وقوته؟ هل لهما أن يختلفا في الرجل عن المرأة؟ أتعتقد أن هناك أي فارق؟

مينو: لا أعتقد.

سقراط: وعلى الرغم من ذلك تختلف الفضيلة عند الولد عنها عند الرجل كبير السن، وفي المرأة عنها في الرجل.

مينو: يا سقراط، أنا لا أستطيع مقاومة فكرة أن الفضيلة ليست كغيرها من الأشياء.

سقراط: جميل جدً، ألم تقل إن فضيلة الرجل هي أن يدير الشئون العامة جيدًا وفضيلة المرأة أن تدير بيتًا؟

مينو: نعم ... قلت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: فإن عمل كل منهما بالعدالة والاعتدال، هل سيتمكنا من الإدارة الصحيحة؟

مينو: نعم.

سقراط: إذن فكلاهما في حاجة إلى العدل والاعتدال.

مينو: هذا واضح جدًا.

سقراط: وماذا عن الصبي والرجل العجوز؟ إن كانا ظالمين وطائشين. هل يمكن أن يكونا صالحين؟

مينو: لا ... بالتأكيد.

سقراط: لكن، هل يجب أن يكونا عادلين ومعتدلين؟

مينو: نعم.

سقراط: إذن كل الرجال بنفس الطريقة، لأنهم إذا كانت لهم نفس الصفتين، فهم صالحون.

مينو: يبدو ذلك.

سقراط: وهكذا ... فإني أفترض أنه لو لم يكن لهم نفس الفضيلة فلن يصبحوا صالحين بنفس الطريقة.

مينو: لا ... بالتأكيد.

سقراط: إذن ... وبما أن نفس الفضيلة موجودة عند الجميع، حاول أن تخبرني وحاول أن تتذكر ما يقوله جورجياس عنها، وما تقوله أنت أيضًا.

مينو: إن أردت شيئًا يتشابه فيه الجميع، فماذا يمكن أن تكون الفضيلة سوى القدرة على أن تحكم الناس؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: هذا هو ما أريد بالضبط. هل هي نفس تلك الفضيلة تكون عند الصبي أو العبد. هل يجب على العبد أن يحكم سيده؟

مينو: لا ... لا أظن أن ذلك صحيح على أي حال.

سقراط: هذا غير معقول يا صديقي العزيز. لكن علينا أن نضع في اعتبارنا أنك تقول (القدرة على حكم الناس) ألا يمكننا أن نضيف عبارة (بالعدل) أو (بدون ظلم) للجملة.

مينو: نعم ... يمكن. فالعدل فضيلة يا سقراط.

سقراط: إذن حددها بالضبط. واذكر لي بعض الفضائل الأخرى.

مينو: الشجاعة فضيلة ... والاعتدال والحكمة وسعة الأفق ... وهناك الكثير غيرها.

سقراط: عدنا مرة أخرى يا مينو. كنا نبحث عن فضيلة واحدة فوجدنا الكثير من الفضائل.

مينو: إذن يا سقراط؛ فإن الفضيلة كما يقول الشاعر هي: «أن تفرح بكل جميل وأن تكون قادرًا». وأنا أرى أن الفضيلة أن تتمنى ما هو جميل وتكون قادرًا على العطاء.

سقراط: هل تقصد أن هناك من يتمنى أشياء طيبة وهناك من يتمنى أشياء سيئة؟ ألا تعتقد أن الجميع يتمنى ما هو طيب؟

مينو: لا أعتقد ذلك.

سقراط: وهل هناك من يتمنى أشياء سيئة؟

مينو: نعم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: وهل هم يتمنونها ظنًا منهم أنها أشياء طيبة، أم أنهم يتمنونها رغم علمهم بأنها سيئة؟

مينو: كلا الاحتمالين صحيح حسب اعتقادي.

سقراط: وهل تظن أن الأشياء السيئة تفيد من تصيبه إم أنها ضارة له؟

مينو: البعض يظن أنها مفيدة والبعض الآخر يدرك أنها ضارة.

سقراط: وهل من يظن أن الأشياء السيئة تفيد يعلمون أنها سيئة؟

مينو: لا أعتقد ذلك أبدًا.

سقراط: من الواضح أن من يتمنون الأشياء السيئة لا يعلمون ما هي بالضبط. وبما أنهم لا يعرفون حقيقتها، إذن فهم يتمنون ما هو طيب؛ أليس كذلك؟

مينو: يبدو الأمر كذلك.

سقراط: وهل من يتمنون ما هو سيء وهم يعلمون بمضاره للآخرين؛ هل يعلمون أنه من الممكن أن يصيبهم نفس الضرر؟

مينو: بالتأكيد.

سقراط: وهل يدركون أن من يصاب بالضرر يكون تعيسًا؟

مينو: نعم ... يدركون ذلك.

سقراط: تعيسًا ... بمعنى بائسًا.

مينو: أعلم ذلك.

سقراط: وهل هناك من يتمنى أن يكون تعيسًا وبائسًا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: لا أعتقد ذلك يا سقراط.

سقراط: إذن ... ليس هناك من يتمنى أشياء سيئة يا عزيزي مينو.

مينو: أعتقد ذلك يا سقراط.

سقراط: لقد قلت قبل قليل أن الفضيلة هي أن تتمنى ما هو طيب وتستطيع العطاء.

مينو: يبدو ذلك.

سقراط: ومما قلت أيضًا أنه إن كان أحدهم أفضل من الآخر، فهو أكثر منه قدرة.

مينو: بالتأكيد.

سقراط: وبناء على كلامك فإن الفضيلة هي القدرة على تحقيق الأشياء الطيبة.

مينو: يا عزيزي سقراط، يجب أن أعترف أن الموضوع كله يبدو تمامًا كما تعرفه أنت.

سقراط: لكن لنرى إن كانت عبارتك الأخيرة صحيحة أم لا. أنت تقول إن الفضيلة هي القدرة على إعطاء ما هو طيب، أليس كذلك؟

مينو: صحيح.

سقراط: ألا تعتبر الصحة والثروة أشياء طيبة؟

مينو: نعم ... وامتلاك الذهب والفضة والمناصب العامة والألقاب.

سقراط: أليس هناك أشياء أخرى؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: كل ما هو من نفس النوع.

سقراط: إذن اقتناء الذهب والفضة فضيلة طبقًا لما يراه مينو؛ صديق أسرة ملك الفرس. هل تضيف إلى ذلك يا عزيزي صفة «أن يكون بعدل»؟ أم أنك لا توافق على ذلك؟ وإن اقتناها أحدهم ظلمًا، هل يكون ذلك من الفضيلة؟

مينو: آه ... لا يا سقراط.

سقراط: هي رذيلة إذن؟

مينو: نعم.

سقراط: إذن من الضروري إضافة العدل والاعتدال إلى كل فضيلة.

مينو: وكيف يمكن أن تكون الفضيلة بدون ذلك؟

سقراط: الحصول على الذهب والفضة بغير العدل فضيلة؛ سواء كان ذلك بالنسبة لك أم لغيرك. أليس عدم الحصول عليها فضيلة أيضًا؟

مينو: يبدو ذلك.

سقراط: إذن الحصول على تلك الأشياء بالعدل فضيلة، والحصول عليها بدون عدل رذيلة.

مينو: أعتقد أن كلامك صحيح تمامًا.

سقراط: قلنا قبل قليل أن العدل والاعتدال وكل الصفات المماثلة هي جزء من الفضيلة.

مينو: نعم.

سقراط: هل تسخر مني يا مينو؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: وهل هذا معقول يا سقراط؟ لماذا تقول ذلك؟

سقراط: منذ قليل طلبت منك ألا تجزئ الفضيلة إلى أجزاء؛ وألا تقدمها لي كمجموعة كبيرة من الجزيئات، وضربت لك الأمثلة لأوضح ذلك. لكنك لم تهتم؛ والآن تقول إن الفضيلة هي أن تحصل على ما تريد بالعدل والعدل ذاته جزء من الفضيلة.

مينو: نعم ... هذا كلامي.

سقراط: هذا يعيدنا إلى سؤالي الأول يا صديقي العزيز، ما هي الفضيلة. ألا تعتقد أنت أنني يجب عليّ أن أكرر على مسامعك نفس السؤال؟ وهل لنا أن نعرف أجزاء من الفضيلة ونحن لا نعرف الفضيلة ذاتها؟

مينو: كلامك صحيح. لكن يا صديقي العزيز أنا أفضل أن أفكر وأستمع إلى ما بدأته بالتساؤل عما إذا كان علينا أن نعرّف الفضيلة على أنها شيء يمكن أن نتعلمه، أم أن الناس يتمتعون بها بطبيعتهم أو بطريقة ما.

سقراط: لكني كنت معلمك يا مينو، وكنت معلمًا لنفسي. ولم يكن لنا أن نبحث في الفضيلة وما إذا كان من الممكن أن نتعلمها أم لا إلا بعد أن نكون قد حاولنا معرفة ما هي أولاً. لكنك لا تحاول أن تعلم نفسك وإن كنت تحاول أن تعلمني، وأنا سأستجيب لك، فليس أمامي سوى ذلك. يبدو إذن أن علينا أن نفكر في خصائص الشيء ونحن لا نعلم ما هو على وجه التحديد. لكني أرجوك أن تخفف من وضع الاستاذية الذي تسلكه معي؛ فربما يمكننا التوصل إلى «افتراض» نعرف من خلاله ما إذا كانت الفضيلة تأتي عن طريق التعلم أم عن طريق آخر. أنا أعني بـ«افتراض» مثل ما يتصوره علماء الهندسة ويعتبرونه أساسًا للبداية منه عندما يريدون معرفة مساحة المثلث مثلاً. علينا أن نتناول الفضيلة بنفس الطريقة. فإن كنا لا نعرف ما هي ولا نعرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكلها؛ فلنضع افتراضًا ثم نفكر فيما إذا كان من الممكن أن نتعلمها أم لا. ثم نبدأ هكذا:

هل الفضيلة خاصية من خواص النفس؟

هل من الممكن أن نتعلم الفضيلة أم لا؟

هل الفضيلة تماثل المعرفة أم تختلف عنها؟

مينو: كلامك صحيح.

سقراط: إذن ... إن كانت الفضيلة معرفة فمن الواضح أنه يمكننا تعلمها.

مينو: بالتأكيد.

سقراط: إذن علينا أن نفكر فيما إذا كانت الفضيلة معرفة أم شيئًا غير ذلك؟

مينو: اتفقنا من قبل على أن ذلك أمر يمكن أن نفكر فيه فيما بعد.

سقراط: جميل جدًا. سبق أن قلت إن الفضيلة شيء طيب

مينو: نعم ... قلنا ذلك.

سقراط: إذن ... لو أن هناك شيء طيب لا علاقة له بالمعرفة؛ يحتمل أن تكون الفضيلة معرفة. لكن إن لم تكن المعرفة خيرًا؛ فربما نشك أنها معرفة.

مينو: هذا صحيح.

سقراط: فهل نحن طيبون بسبب الفضيلة؟

مينو: نعم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: وإن تناولنا أشياء أخرى مثل الصحة والقوة والمظهر الجميل وكل ما شابه ذلك فهي أشياء نافعة؛ أليس كذلك؟

مينو: نعم.

سقراط: ونقول عن نفس هذه الأشياء أنها ضارة في أوقات أخرى.

مينو: نعم.

سقراط: فلنفكر فيما يقدمه إلينا أيًا من هذه الأشياء فيصبح نافعًا؛ ثم نفكر فيما تقدمه لنا فيصبح ضارًا. أليس الاستخدام الصحيح هو ما يجعلها نافعة والاستخدام الخاطئ هو ما يجعلها ضارة؟

مينو: هذا مؤكد.

سقراط: إذن فهذه الأشياء ليست من المعارف، فهي مضرة أحيانًا ونافعة في أحيان أخرى. ولنأخذ الشجاعة كمثال. فالشخص الشجاع لكنه قليل الفطنة يصيبه الضرر، بينما لو كان ذو فطنة جيدة لكان ذلك مفيدًا له.

مينو: نعم.

سقراط: ألا ينطبق نفس الكلام على الاعتدال والفطنة في التعلم؟ بمعنى أنه لو فهمنا ما تعلمنا بطريقة مناسبة، يكون نافعًا. فإن لم نفهمه جيدًا فهي ضارة.

مينو: نعم ... تمامًا.

سقراط: إذن إن تناولنا كل ما تعانيه النفس من اضطرابات وعناء بحكمة كانت طريقًا إلى السعادة؛ وإن لم تدركها النفس جيدًا كان نصيبها عكس ذلك تمامًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: يبدو ذلك.

سقراط: وإن كانت الفضيلة متأصلة في النفس، وإن كان لابد لها بالضرورة أن تكون نافعة. فلابد أنها الحكمة. وبناء على ذلك، بما أن الفضيلة نافعة، فلابد لها أن تكون نوعًا من أنواع الحكمة.

مينو: أعتقد ذلك.

سقراط: جميل جدًا. لننتقل إلى ما ذكرناه أيضًا قبل قليل، وهي الثروة وما إلى ذلك. وقلنا إنها تكون نافعة أحيانًا وضارة أحيانًا أخرى. فإن كانت الحكمة مصدر هداية لأي نفس، فإنها تجعل ما يخص النفس نافعًا، أما إن لم تدركها النفس فستكون ضارة. وبالمثل، يمكن للنفس أن تجعلها نافعة إن استخدمتها بطريقة صحيحة، أو تجعلها ضارة إن استخدمتها بطريقة ضارة، أليس كذلك؟

مينو: بالتأكيد.

سقراط: النفس الواعية تحسن التوجيه، والنفس غير الواعية تسيء التوجيه.

مينو: هذا صحيح.

سقراط: إذن يمكننا استخراج قاعدة عامة من هذا الكلام، وهي: «كل شيء يتوقف على النفس، لكن ما يخص النفس ذاتها يتوقف على الحكمة.» ونخرج من ذلك بأن كل ما يكون نافعًا فهو من الحكمة، والفضيلة نافعة.

مينو: بالفعل.

سقراط: إذن يمكننا القول إن الفضيلة حكمة سواء بالكامل أو جزئيًا.

مينو: نعم يا سقراط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: وإن كان هذا صحيح، فإن الطبيعة لا تجعل الناس طيبين.

مينو: لا أظن ذلك.

سقراط: إذن ليس هناك من هو طيب بطبيعته. لأنه لو كان الناس طيبون بطبيعتهم لكان يجب علينا رعايتهم تامة منذ الصغر لإبقائهم في أمان. وذلك حتى لا يفسدهم أحد.

مينو: هذا متحمل جدًا يا سقراط.

سقراط: وهل من الممكن لمن لا يكون طيبًا بطبيعته أن يكون طيبًا بالتعلم؟

مينو: لا أعتقد ذلك. طبقًا للفرض الذي وضعته أنت يا سقراط. إذا كانت الفضيلة معرفة؛ فمن الممكن تعلمها.

سقراط: نعم ... ربما يكون الأمر كذلك. لكن ماذا لو كنا خاطئين فيما توصلنا إليه؟

مينو: يبدو أن هذا الاستنتاج سليم.

سقراط: لكن كيف نكون لو أدركنا أنه استنتاج خاطئ. وإن كان صائبًا؛ هل يصلح للحاضر والمستقبل؟

مينو: ماذا دهاك؛ لماذا تشكك وترتاب؟ هل تعتقد أن الفضيلة ليست معرفة؟

سقراط: اسمع يا مينو. يمكن أن نتعلم الفضيلة لو كانت معرفة، وأنا لا أريد مناقشة هذه العبارة. لكني أشك أنها من المعرفة، فكر معي إن كان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هناك سبب لذلك. لكن أليس أي شيء نتعلمه -وليست الفضيلة فقط- لابد أن يكون له معلمون وطلاب؟

مينو: نعم ... أعتقد ذلك.

سقراط: والعكس صحيح، فإن لم يكن هناك معلمون وطلاب لا يمكن تعلم أي شيء.

مينو: نعم ... بالطبع. ولكن ألا تظن أن هناك معلمون للفضيلة؟

سقراط: في الحقيقة، أنا حاولت اكتشاف ما إن كان لها معلمون؛ إلا أنني وبعد جهد كبير لم أجد واحدًا منهم. وقد بحث عنهم كثيرون ومنهم أنيتوس. لكن ... يا عزيزي مينو لقد جاء الآن أنيتوس في وقت حاجتنا إليه. فلنطب منه مشاركتنا في البحث، ويكون ذلك من المناسب جدًا فهو أنيتوس ابن الثري الكبير أنثيميون، وهو لم يحقق ذلك الثراء إلا بحكمته ومهارته. ومن جهة أخرى فإن أباه صاحب سمعة طيبة في المدينة بوجه عام. ومن الصواب أن نلجأ لمثله عندما نبحث عن معلمي الفضيلة.

الآن ... ساعدني يا أنيتوس وساعد صديق عائلتك الموجود هنا الآن. إن أردنا أن يصبح مينو طبيبًا ماهرًا هل لنا أن نرسله ليتدرب على أيدي أطباء مهره؟

أنيتوس[1]: نعم ... هذا مؤكد.

سقراط: ونفس الكلام يمكن قوله إن أردنا أن نجعله اسكافيًا ماهرًا أو عازف ناي أو غير ذلك.

---

(1) - دخول أنيتوس في المحاورة أضاف إليها الكثير؛ فلن يتوقف دوره على التأكيد على كلام سقراط أو نفيه كما يفعل مينو؛ بل ستكون مشاركته أكثر فاعلية إلى حد ما. كما أن المحاورة تزيد فاعليتها حتى بعد خروجه وتواصل الحوار مرة أخرى بين سقراط ومينو. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنيتوس: نعم.

سقراط: أنت على صواب ... الآن شاركني الأمر. يقول مينو طوال الوقت إنه يبحث عن الحكمة والفضيلة التي تمكن الناس من إدارة بيوتهم ومدنهم بحنكة وحِكمة. وهو يفكر فيمن يكون مناسبًا لهذه المهمة لنرسله ليتعلم الفضيلة. أليس من الأفضل أن نرسل من نختاره ليتعلم الفضيلة لقاء أجر مناسب؟

أنيتوس: ومن هم هؤلاء يا عزيزي سقراط؟

سقراط: أنت تعلم أنهم السفسطائيين.

أنيتوس: عزيزي سقراط ... ليت كل أقاربي وأصدقائي هنا أو خارج البلاد لا يقعون في مثل هذا الجنون وينصتون لهؤلاء المخربين المفسدين. إنهم دمار واضح ومضرة مؤكدة لكل من يضطر إلى التعامل معهم.

سقراط: ما هذا الذي تقوله يا أنيتوس. أنهم أكثر الناس معرفة بما يصلح أحوالنا. أنا لا أستطيع أن أصدقك فأنا أعرف أحدهم وهو بروتاجوراس الذي جمع مالاً كثيرًا من حكمته يفوق كل ما جمعه فيدياس من كل أعماله المجيدة. وأظن أنه ناهز السبعين من عمره عندما مات. وهذا لم يكن هو حال بروتاجوراس وحده؛ بل هناك كثيرون مثله. فهل لنا أن نعتبر السفسطائيين مجانين في حين أن هناك من يعتبرهم أكثر الناس حكمة؟

أنيتوس: إنهم مجانين يا سقراط. والشباب منهم أكثر جنونًا. كما أن أسرهم التي تضعهم أمانة عند أولئك المجانين مسئولون عن ذلك، والمدن التي تسمح بوجودهم ولا تطردهم مشاركة في ذلك الجنون الغريب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: لكن يا أنيتوس؛ هل أساء إليك منهم أحد؟ لماذا تقسو عليهم بشدة؟

أنيتوس: لم أتعامل مع أي منهم أبدًا؛ كما أني لا أسمح لأي من أفراد أسرتي بالتعامل معهم.

سقراط: إذن فأنت لا تعلم عنهم شيئًا.

أنيتوس: وأرجو أن أظل كذلك.

سقراط: هذا أمر مدهش. إن كنت لا تعرف عنهم أي شيء؛ فمن أين علمت بأن هناك أي خير أو مضرة من وراءهم؟

أنيتوس: الأمر بسيط. أنا أعرف من هم هؤلاء، ولست بحاجة إلى خبرات معهم.

سقراط: هل يمكن إذن أن نقول إن مينو يمكن أن يلجأ إليهم ليتعلم كيف يكون وغدًا؟ لكن دعنا من ذلك ... هل لك أن تدل مينو لمن يذهب ليتعلم الفضيلة على يديه.

أنيتوس: ولماذا لا تدله أنت؟

سقراط: قلت إن السفسطائيين يعلمون تلاميذهم الفضيلة؛ لكن اتضح أني مخطئ بحسب كلامك. فخذ دورك أنت ودلنا على أثيني؛ اذكر اسم من تفضله.

أنيتوس: أنت تسأل عن شخص واحد؟ أي نبيل من أثينا يمكنه أن يقدم لنا أفضل مما يقدمه أي سفسطائي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: وهل أصبح أولئك النبلاء هكذا بسبب حظهم السعيد؟ ألم يتلقوا تعليمًا على يد أحد؟

أنيتوس: أنا أفترض أنهم تعلموا من آبائهم النبلاء، ألا ترى أن هناك الكثير من الأشخاص الممتازين في مدينتنا؟

سقراط: أعتقد أنه لا يوجد هنا العديد من الرجال البارزين في السياسة. فهل كلهم معلمون جيدون يمكنهم تدريس الفضيلة؟ هذا هو موضوع محاورتنا. ألا تظن مثلاً أن تيميستوكليز كان رجلاً ممتازًا.

أنيتوس: نعم ... بلا شك.

سقراط: وهل تظن أنه يتمنى تعليم الآخرين الفضيلة ليكونوا نبلاء مرموقين؟ أم أنه قد يُضن بذلك على الآخرين؟ ألم تسمع ممن هم أكبر سنًا عما يمكن أن نتعلمه من المعلمين الممتازين؟

أنيتوس: نعم ... سمعت.

سقراط: وهل سمعت عن كليوفانتوز الذي صار حكيمًا ومجيدًا لكل المهارات التي أجادها والده تيميستوكليز. هل سمعت عن ذلك من شاب أو كهل؟

أنيتوس: لا ... لم أسمع عنه.

سقراط: وهل الفضيلة من الممكن أن نتعلمها حقًا؟

أنيتوس: ربما يكون ذلك مستحيلاً.

سقراط: لكن هناك من معلم جيد للفضيلة ممن تقر أنت أنه من أفضل الرجال. إنه أريستديز ابن لزيماخوس. إلا تعتقد أنه واحد من أفضل الرجال؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنيتوس: نعم ... هذا مؤكد.

سقراط: وهو علم أبنه كل ما يمكن أن يعلمه له. لكن هل تظن أنه علمه تعليمًا أفضل مما قدمه لأي شخص آخر؟ أنت التقيت به وتعرف حاله.

أنيتوس: نعم.

سقراط: لقد علم هؤلاء المعلمين الكبار أولادهم مثلما يعلمون أي فارس في أثينا. علموهم الفنون والألعاب الرياضية وكل ما يمكنهم من جعلهم مواطنين صالحين. والحقيقة في نهاية الأمر يا صديقي أنيتوس هي أن الفضيلة لا يمكن تعلمها.

أنيتوس: أنصحك بتوخي الحرص يا سقراط. أنت تتجنى على الناس. الإساءة إلى الناس أمر سهل جدًا. (أنيتوس ينصرف)

سقراط: أخشى أن يكون أنيتوس قد غضب يا مينو. وما بيدي حيلة. فهو يظن أني أشهر بهؤلاء الناس ويعتقد أنه واحد منهم. لو علم كيف يكون التجني على الناس ما غضب. لكن الآن أجبني أنت يا مينو. ألا ترى أن هناك من هم حسنو النشأة في المكان الذي تعيش فيه؟

مينو: نعم بالتأكيد.

سقراط: حسن ... هل هم مستعدون لتقديم أنفسهم للشباب كمعلمين؟ هل يقولون إنهم معلمون وأن الفضيلة يمكن تعلمها؟

مينو: لا ... قد تسمعهم أحيانًا يقولون إن الفضيلة يمكن تعلمها. لكنهم لم يتفقوا فيما بينهم على ذلك.

سقراط: هل لنا أن نقول إنهم معلمون للفضيلة، لكنهم لم يتفقوا على إمكانية تعلمها؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: لا أعتقد ذلك.

سقراط: إذن سفسطائيوك فقط هم من ينادي بذلك. هل تظن أنهم معلمون للفضيلة؟

مينو: أخص بالذكر جورجياس. إنه يثير دهشتي يا سقراط. لن تسمع منه مثل ذلك الوعد، وهو يسخر ممن يعدون بمثل ذلك. وهو يعتقد أن مهمته الأولى أن يعلم الناس مهارة الحديث.

سقراط: إذن ... أتعتقد أن السفسطائيين معلمي فضيلة أيضًا؟

مينو: لا أستطيع تأكيد ذلك يا سقراط. شعرت به مثلما شعر أغلب الناس. أحيانًا أرى أنهم كذلك وفي أحيان أخرى أرى أنهم ليسوا كذلك أبدًا.

سقراط: لكن إن لم يكن السفسطائيون ولا النبلاء معلمين للفضيلة، فمن الواضح أيضًا ألا يكون هناك غيرهم.

مينو: أعتقد أن ذلك واضح جدًا.

سقراط: وسبق أن اتفقنا أنه عندما لا يوجد طلاب ولا معلمين لموضوع ما، فلا يمكن أن نتعلم ذلك الموضوع.

مينو: نعم ... اتفقنا على ذلك.

سقراط: إذن ... الفضيلة لا يمكن تعلمها.

مينو: يبدو ذلك، لو أن بحثنا صحيح. وأنا أسأل يا سقراط: ألا يوجد هناك من هم فضلاء على الإطلاق؟

سقراط: في الحقيقة، أنا وأنت يا مينو اثنان لا يعتد بكلامهما. أنت لم تتعلم جيدًا على أيدي معلمك جورجياس، وأنا لم أتعلم جيدًا على أيدي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معلمي بروديكوس. إذن علينا أن ننظر إلى أنفسنا ونحاول البحث عمن يجعلنا أفضل. نريد أيضًا أن نعلم لماذا فشلنا في معرفة الطريقة التي تجعل الناس من الفضلاء.

مينو: ماذا تقصد يا سقراط؟

سقراط: ما أقصده: الفاضلون لابد أن يكونوا نافعين، ولقد أثبتنا ذلك وكنا على صواب.

مينو: نعم.

سقراط: لكن ذلك لا يعتبر هداية بطريقة سليمة؛ إن لم يكن الإنسان على علم بالشيء ذاته.

مينو: ماذا تقصد؟

سقراط: سأخبرك. لو هناك من يعرف الطريق إلى لاريسا، فيذهب إلى هناك ويرشد غيره، ألن يكون إرشاده صائبًا وجيدًا؟

مينو: بالتأكيد.

سقراط: وماذا عمن لم يذهب إلى هناك أبدًا. ولا يعرف الطريق. لكن عنده فكرة صحيحة عنه، ألن يتمكن من توجيه آخر ليذهب إلى هناك؟

مينو: نعم ... سيتمكن من ذلك.

سقراط: وما دام هذا الأخير لديه فكرة جيدة عن الطريق ويمكنه وصفه للآخرين؛ فهو كالشخص الآخر الذي يعرفه ومر به من قبل. فبالرغم من عدم معرفته به، إلا أنه قادر على وصفه.

مينو: نعم ... يمكنه ذلك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: إذن فالفكرة الصحيحة لا تقل قيمتها عن الحكمة إن صدق العمل. وهذا هو ما لم نلاحظه حتى الآن. إننا نبحث عن نوع الفضيلة. وسبق أن قلنا إن الحكمة تقود إلى العمل الصحيح. والآن وجدنا أن الفكرة الصحيحة لها نفس الأثر.

مينو: يبدو ذلك.

سقراط: إذن فالأفكار الصحيحة ليست أقل نفعًا من المعرفة.

مينو: بل أقل نفعًا. فمن هو على علمٍ يكون دائمًا على صواب أما من هو صاحب فكرة فيكون أحيانًا على صواب.

سقراط: أنت مخطئ. صاحب الرأي الصائب على صواب دائمًا ما دام رأيه صائب.

مينو: نعم ... وإن كان الأمر كذلك؛ فأنا أتعجب لماذا تعتبر المعرفة أهم من الرأي الصائب؟ ولماذا يعتبرا شيئين منفصلين؟

سقراط: أتدرك سبب تعجبك؟ ألم أذكره لك أنا؟

مينو: نعم ... أخبرني عنه من فضلك.

سقراط: المعرفة عندما توثق تعتبر معرفة وتستمر. وهذا هو ما يجعلها تتفوق على الفكرة الصائبة. أن أتحدث عن توقعاتي ولا أتحدث كرجل علم. لكن القول بأن الفكر الصائب يختلف عن المعرفة ليس مجرد تكهن على الإطلاق. فما أقوله أنا على علم به، وهناك أشياء قليلة أقول عنها مثل ذلك القول.

مينو: أنت على صواب تمامًا يا سقراط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط: أليس إذن من الصواب أن الفكر الصائب يمكن من العمل بطريقة لا تقل عما تحققه المعرفة؟

نعم ... أعتقد أن هذا أيضًا صحيح.

سقراط: إذن الفكر الصائب لا يقل شأنًا عن المعرفة. ولن يكون أقل نفعًا من الأفعال. والشخص ذو الفكر الصائب ليس أقل شأنًا من الشخص ذو العلم والمعرفة.

مينو: نعم.

سقراط: إذن اتفقنا مرة أخرى على أن الشخص الفاضل نافع.

مينو: نعم.

سقراط: ولذلك فليس عن طريق المعرفة فقط يكون الأشخاص فاضلين ونافعين لمدنهم. بل هم كذلك أيضًا بالفكر الصائب. وبما أن المعرفة والفكر الصائب لا يأتيان تلقائيًا فلابد من اكتسابهما. أم تظن أن الطبيعة ربما تهبنا أحدهما؟

مينو: لا ... لا أظن ذلك.

سقراط: إذن الطبيعة لا تهبنا أيًا منهما ولا تهبنا الخير أيضًا.

مينو: على الإطلاق.

سقراط: إذن علينا أن نبحث عما لا تجود به الطبيعة؛ ثم نبحث فيما إذا كان من الممكن تعلمه.

مينو: نعم.

سقراط: ويبدو أننا يمكن أن نتعلم الفضيلة إن كانت من الحكمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: نعم.

سقراط: وإن أمكن تعلمها؛ فهي من الحكمة.

مينو: هذا مؤكد.

سقراط: وإن كان هناك معلمون لأمكن تعلمها؛ وإن لم يكن هناك معلمون لن يتعلمها أحد.

مينو: بالضبط.

سقراط: لكننا اتفقنا على أن الفضيلة ليس لها معلمين.

مينو: صحيح.

سقراط: واتفقنا أيضًا أنها ليست من الحكمة ولا يمكن أن نتعلمها.

مينو: أكيد.

سقراط: وبالرغم من كل ذلك؛ اتفقنا على أنها من الخير.

مينو: نعم.

سقراط: ومادامت الفضيلة لا يمكن أن نتعلمها، إذن فهي ليست معرفة.

مينو: لا أظن.

سقراط: وهكذا استبعدنا واحدًا من شيئين نافعين. والمعرفة لا تكون مرشدًا في العمل السياسي.

مينو: نعم.

سقراط: إذن ليس بالحكمة أدار أشخاص مثل تيمستوكليز المدن. لم يستطيعوا جعل الآخرين مثلهم. فليس للمعرفة شأن بما أصبحوا عليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مينو: يحتمل أن يكون الأمر مثلما تقول يا سقراط.

سقراط: وإن استثنينا المعرفة لا يتبق إلا المشورة الصائبة. وهذا هو ما يلجأ إليه أهل السياسة عندما يحافظون على الدولة.

مينو: هذا هو حالنا في الواقع.

سقراط: إذن، فمن العدل أن نعتبر أولئك الذين يتولون إدارة المدن مباركون. فهم على صواب فيما يقولون ويفعلون.

مينو: هذا مؤكد.

سقراط: والنساء يا مينو يقولون عن الرجال الصالحين أنهم مباركون. ويمتدحهم أيضًا اللاكونيين[1].

مينو: نعم ... ويبدو أنهم على صواب يا عزيزي سقراط. بالرغم من غضب أنيتوس منك لقولك هذا الكلام[2].

سقراط: لا يهمني ذلك. سأناقشه فيما بعد يا مينو. لكن ... لو رتبنا بحثنا بطريقة حسنة، واتممنا الجدال على أكمل وجه لا اتضح لنا أن الفضيلة ليست موجودة في الطبيعة، ولكنها هبة من الله. ويمكننا فقط أن نعرف حقيقة هذا الأمر بوضوح إن حاولنا أن نبحث في ماهية الفضيلة، وذلك قبل البحث في الطريقة التي تصل بها الفضيلة إلى البشر.

حان الآن وقت انصرافي. عليك أن تقنع صديقنا أنيتوس ليؤمن بما آمنت أنت به الآن عن الفضيلة. وأن يكون أكثر رقة في تعاملاته. إن استطعت ذلك ستكون قد قدمت خدمة جليلة لأهل أثينا.

---

(1) - نسبة إلى لاكونيا وهي الإقليم الذي تقع فيه اسبرطة. (المترجم)

(2) - كان أنيتوس واحدًا ممن وجهوا الاتهامات لسقراط وطالبوا بإعدامه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرسطو

الفصل الخامس

نال أرسطو بعد وفاته من الاحترام والتقدير ما لم ينله أي مفكر على مر العصور. واستمر هذا الاحترام والتقدير عدة قرون بعد وفاته. وفي كافة العصور كان المعجبون بأرسطو يميلون إلى وصف مؤلفاته بأنها تعتبر منهجًا صارمًا وغير متطور. وكان من الممكن الاعتراض على أعماله جملة جملة. ومنذ وقت قريب أصبح من المعروف أن أرسطو نفسه كان يغير آراءه في بعض الأوقات.

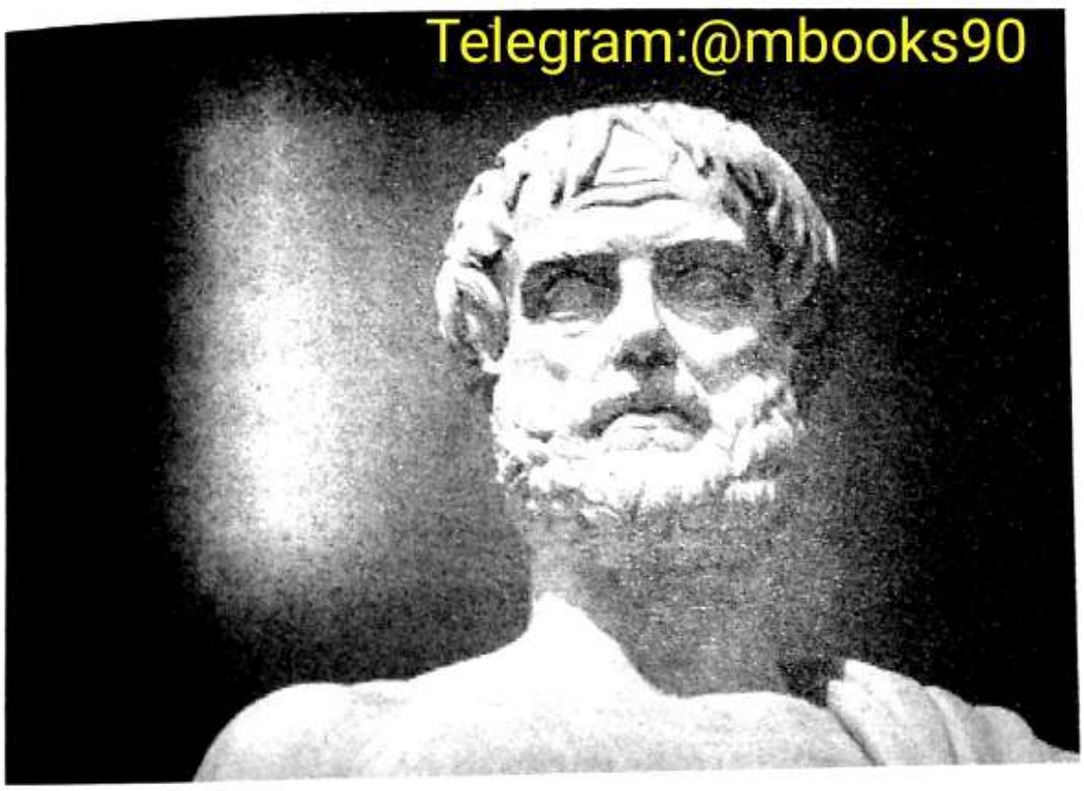
Telegram:@mbooks90

ولابد لنا أن نتذكر أن أرسطو ظل دارسًا في أكاديمية أفلاطون في أثينا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لمدة عشرين عامًا. وخلال تلك الفترة كتب محاورات على طريقة أفلاطون. لكن هذه المحاورات لم تصل إلينا. والأجزاء القليلة التي تبقت من تلك المحاورات توضح أنها كانت انتاجًا راقيًا جدًا؛ كما أنها كانت تتناول بالنقد بعض أحوال الأكاديمية رغم أنها سارت على طريقة أفلاطون.

أعماله

أما ما وصل إلينا من أعمال أرسطو التي ظلت موجودة إلى الآن؛ فكثير منها يتناول موضوعات علمية. وقد خصص أغلب أوقاته -خصوصًا في سنواته الأخيرة- لتنظيم البحث التعاوني المنهجي. وكان يعتمد -إلى حد كبير- على جمع الحقائق عن العالم الطبيعي بطريقة لم يتبعها أحد من قبل. كما أنه اهتم بشدة بما أسماه الجانب الإدراكي للعلم. وهنا يظهر تأثير أفلاطون القوي عليه. لكن ولسوء الحظ كان تأثير أرسطو على أتباعه سيئًا بصفة عامة. وكان يفضل طريقة في التفسير ثبت أنها غير مجدية.

وقد نسب إليه أفلاطون تمسكه هو أيضًا بالرأي القائل بأن التفسير الصحيح يجب أن يكون له غرض. وقد سأل سقراط: هل اقامتي بالسجن تفسرها حقيقة أن لي عظام ومفاصل مرنة، وكلها تمكنني أن أظل هنا؟ لا بالطبع. فهذه الصفات تمكنه من الجلوس في السجن؛ لكنها لا توضح السبب الذي من أجله يجلس هناك.

أرسطو والمنطق

أما العيب الكبير في استخدام طريقة أرسطو في البحث يتضح فيما يتم التوصل إليه من نتائج مرضية إلا أنها لا تقدم أي معرفة على الإطلاق. فالنار التي تتجه إلى أعلى يمكن تفسيرها على أن غرضها الوصول إلى ما هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعضاء من وظيفتها الحالية. وكذلك يمكن أن نفسر نمو النبات، ويكون الهدف هو الوصول إلى مرحلة النمو التام. لكن من الواضح إن هذه التفسيرات ليست إلا إعادة صياغة للتعبير عن حقيقة واقعة. فالنار ترتفع لأن هذه هي طبيعتها، والنبات على نفس الحال. ولذلك كان علماء ذلك العصر يوجهون أشد النقد لتناول أرسطو لهذا الموضوع بهذه الطريقة الخاطئة.

وهناك أيضًا من رأى أن العمل الريادي الذي قدمه أرسطو للمنطق في تلك الفترة كان مخربًا بالمثل. إلا أنه حكم جائر دون شك. فقد أدى أرسطو بحثه الاستنباطي بدقة شديدة، وظل الناس يعتبرونه نهائيًا وكاملاً لعدة قرون. ولذلك فإن لحامل من جاءوا من بعده عليه لم يكن هو سببًا فيه. وبصفة عامة، فإن ما حققه أرسطو صمد بشدة مع مرور الزمن. ومنذ سنوات معدودة أشترك كثير من علماء المنطق مع أرسطو فيما توصل إليه وقد ألمحوا إلى ذلك. وعلى الرغم من أن أرسطو قد حصر اهتمامه تمامًا في صور محدودة؛ إلا أن المنطق الحديث لم يتعارض مع تلك الأحكام. كما أن أرسطو كان أكثر إبداعًا في أعمال المنطق عن أي أعمال أخرى.

وقد رأيت أن يشتمل كتابي هذا على مقتطف طويل من أشهر ما كتب أرسطو وهو كتاب «الأخلاق». وذلك لأن الكثير من أعماله شديدة الصعوبة، قد تصعّب علىَّ الترجمة من الإغريقية أو قد تكون صعبة الفهم أساسًا.

وفي كتاب «الأخلاق» يبدأ أرسطو كلامه بما يلي:

1 - ما هو الخير؟

كل فن أو بحث أو مهمة يبدو أنها تهدف إلى خير ما. لذلك فالقول «الخير هو ما تهدف إليه كل الأشياء» قول صادق. ومن الصحيح أن أهداف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفنون والعلوم تختلف عن بعضها، وفي بعض الأحيان تكون ممارسة فن ما هي هدف يراد الوصول إليه في حد ذاته. وهناك فنون تهدف إلى تحقيق أغراض محددة إضافة إلى ممارسة الفن نفسه.

ولما كان هناك الكثير من الفنون والعلوم وتعددت الأغراض، نتج عن ذلك تعدد الأهداف أيضًا. فعلى سبيل المثال؛ يهدف علم الطب إلى الصحة ويهدف الاقتصاد القومي إلى الثراء.

2 - الخير الأسمى

لذلك فإن كان من بين أهدافنا هدف نقصده لذاته؛ وفي سبيل تحقيقه نحقق أهدافًا أخرى سعيًا وراءه؛ فمن الواضح أن هذا الهدف النهائي خير. بل هو «الخير الأسمى». ومعرفتنا لهذا الخير لها أهمية كبرى في سلوكنا في الحياة. لذلك فعلينا أن نحاول أن نفهم -مهما كانت الظروف- ما هو ذلك «الخير الأسمى» بوضوح.

لذلك سيتضح أن «الهدف الأسمى» لابد أن يكون موضوعًا من أكثر العلوم سيادة. إنه يفوق كل الحرف التي تتطلب مهارة عالية. وهكذا فإنه من الواضح أنه علم السياسة. فهو علم يحدد تلك العلوم التي نحتاج إليها ويحدد أغراضها. ويمكننا أن نلاحظ أن علم السياسة يتجاوز كل العلوم الأخرى التي تبدو ثانوية بالنسبة له، مثل الاستراتيجيات العسكرية والاقتصاد والبلاغة وغيرها.

ولذلك فإن خير الإنسان يجب أن يكون الهدف أسمى لعلم السياسة. فعلى الرغم من أن خير الدولة أكبر وأعم من خير الفرد، إلا أن الغاية الأسمى هي الخير كله للفرد والمجتمع. وضمان الخير لفرد أمر طيب؛ لكان تأمين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك الخير لشعب كامل هدف أكثر نبلاً وقدسية. فإن كان الأمر كذلك فإن بحثنا لابد أن يدور حول السياسات.

3 - تعاملنا مع علم السياسة

يكون تعاملنا مع هذا العلم مناسب لو تحقق في ذلك التعامل قدرًا من الدقة. لكن تلك الدقة لا يمكن توقعها في كل فروع الفلسفة وما تنتجه الصناعات والفنون. أما الموضوعات التي تدرسها السياسة فهي: النبل الأخلاقي والعدل، وهي مفاهيم تتضمن المزيد من الاختلاف في الرأي والتشكك لدرجة تجعلنا نعتقد أحيانًا أنها مجرد تقاليد لا وجود لها في واقعي لها في طبيعة الأشياء. وهناك شك مماثل يكتنف مفهوم الخير، فقد تؤدي أعمال خيرة إلى نتائج شديدة الخطورة. فالناس فيما مضى قضت عليهم ثرواتهم. وفي حالات أخرى كلفت الشجاعة بعض الناس أرواحهم.

فإن كانت الموضوعات التي نتناولها تؤدي إلى نتائج واضحة وثابتة بوجه عام؛ فإن على الدارس أن يتقبل وجهات النظر الأخرى بروح طيبة.

ومن جهة أخرى فإن كل منا قادر على نقد ما يلم به جيدًا من موضوعات. ولذلك يجب على كل دارس التدرب على الموضوع الذي يتناوله وأن يكون ناقدًا مميزًا. وحتى يكون ناقدًا مميزًا يجب أن يكون مثقفًا في مجالات عديدة. لذلك فإن الشباب لا يصلحون لدراسة السياسة حيث تنقصهم الخبرات الحياة والسلوك. وهذان هما أسس القضايا الفلسفية ومادة هذا الفرع من الفلسفة. كما أن الشباب يندفعون وراء أحاسيسهم.

4 - هل الخير هو السعادة؟

مجمل ما نقول هو إنه بما أن كل الدراسات والمهام تسعى لبلوغ الخير،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلابد لنا من مناقشة ما هو ذلك الخير الذي يسعى الجميع إلى تحقيقه. يمكننا القول إن أغلب الناس متفقون على أن ذلك الخير هو السعادة؛ وهم يرون أن الأعمال الصالحة وحياة الصالحين تعني أنك سعيد.

أما شكل تلك السعادة ففيه خلاف واضح وكبير. فتقدير الناس العاديين للسعادة يختلف عن تقدير الفلاسفة لها. فالعاديون يربطون بين السعادة بما هو واضح ومرئي مثل البهجة والجاه والشرف، بل إن بعض الناس يقول شيئًا ويقول بعضهم شيئًا آخر في تفسيرهم للسعادة. ويرى بعض المفكرين أن هناك ما هو خير في ذاته. وقد يبدو أنه عمل غير مجد في حد ذاته إلا أنه من الخير.

5 - كيف يكون الخير؟

فإن عدنا إلى موضع بحثنا وهو الخير، وحاولنا أن نتعرف على ما يمكن أن يكون بالضبط. فلا يبدو أن الخير شيء واحد. فالخير في الطب يختلف عنه في الاستراتيجيات الحربية وفي سائر الفنون. لكن، أي تعريف للخير يثبت صدقه في كل الفنون؟ وقد نعرف الخير على أنه ذلك الذي من أجله نفعل أي شيء آخر، وهذا ينطبق على كل شيء، ينطبق على الصحة في حالة الطب وعلى النصر في مجال الاستراتيجيات العسكرية وعلى البيت في مجال العمارة. لكن لكل غرض من تلك الأغراض غاية يسعى إلى تحقيقها. وهكذا يختلف نوع الخير باختلاف الغايات الكثيرة والمتعددة التي نريد أن نحققها.

الغايات الكبرى:

والآن يبدو فعلاً أن هناك غايات كبرى تهدف أعمالنا إليها لكننا نختار بعضًا منها كوسيلة لشيء آخر. وهذا يوضح أنها جميعًا ليست غايات نهائية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في حد ذاتها. لكن الخير الأسمى يبدو كشيء نهائي وكامل. ومعنى ذلك أنه إن كان لدينا غايات نهائية عديدة، من بينها غاية أكثر نهائية، فإن ذلك هو الخير الأسمى الذي نسعى إليه. وبناء على ذلك، فإن الشيء المختار الذي نسعى إليه كغاية نسميه «ذو نهاية مطلقة». ولذلك فالسعادة تبدو غاية نهائية تعلو على غيرها من الغايات لأننا نختارها لذاتها ولا نبغي الوصول إليها كمجرد وسيلة. وهي إذن ذات نهاية مطلقة. وليس هناك من يختار السعادة طلبًا لتحقيق غرض آخر مثل الشرف أو الجاه أو غير ذلك.

الاكتفاء الذاتي:

إن تأملنا «الاكتفاء الذاتي» من السعادة سنصل إلى نفس النتيجة. ومع ذلك فإننا نقصد بهذا التعبير «الاكتفاء الذاتي» ليس الشخص فقط بل للأسرة بالكامل، وذلك لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته. لكن ذلك الامتداد للرغبة في الاكتفاء الذاتي لا يمتد كثيرًا؛ فلا يمتد إلى أجداد الأجداد ولا إلى الأسلاف ولا السلالات ولا إلى أصدقاء الأصدقاء إلى ما لا نهاية.

Telegram:@mbooks90

فإن اتضح لنا أن السعادة أمر نهائي وفيها اكتفاء ذاتي، فهي إذن غاية تهدف إليها كافة الأفعال.

ومع كل ذلك فإن اعتبار الخير الأسمى هو السعادة قضية مسلم بها تجعلنا بحاجة إلى توضيح أكثر لها. وقد نتمكن من ذلك إن توصلنا إلى أن وظيفة الإنسان أيًا كانت تكمن السعادة في أن يؤديها. وبالتالي يمكننا القول بأن خير الإنسان يوجد في وظيفته إن كان له وظيفة.

فإن قلنا إن كلاً من النجار والاسكافي له عمل محدد يقوم به، فهناك أيضًا شخص آخر لا عمل له، ولا يؤدي أي وظيفة. لم تهيئ له الطبيعة أي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمل يقوم به. وبالمثل نجد أن لليد وظيفة وللقدم وظيفة أخرى ولكل عضو من أعضاء الجسد وظيفة خاصة به. وكذلك الحال في الكائنات الحية. كما الحيوانات كالخيول والثيران وغيرها الكثير تشاركنا في كثير من وظائف الكائن الحي.

لكن إن تناولنا تلك الوظائف التي نعيش من وراءها؛ نجد على سبيل المثال أن عازف الناي يعزف على الناي؛ أما عازف الناي الممتاز؛ فهو يعزف على الناي بمهارة. وعلى ذلك فإن التدريب والممارسة مهمان أيضًا. فهما يؤديان إلى التميز والفضيلة. وإن كانت هناك الكثير من أنواع التميز البشري وفضائل عديدة، فإن الخير يتفق مع أفضلها وأكثرها اتقانًا وكمالاً.

إضافة إلى أن الإنسان -حتى يكون سعيدًا- فإن ذلك يستغرق حياته بالكامل. فالعصفور لا يكفيه يوم واحد في جو عليل. وبالمثل فإن يومًا واحدًا أو فترة قصيرة من السعادة لا تجعل الإنسان في سرور دائم.

6 - الأشياء الصالحة:

بما أن الأشياء الصالحة تقسم إلى ثلاث فئات:

- أشياء خارجية صالحة
- أشياء مفيدة للجسم
- أشياء مفيدة للنفس

وعن هذه الأنواع الثلاث يقال إن الأشياء المفيدة للجسم هي أعلاها وأكملها على الإطلاق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن تعريفنا للرجل السعيد بأنه «يعيش حياة طيبة» أو أنه «يعمل الصالحات» يربط السعادة بالحياة الطيبة والعمل الصالح.

إضافة إلى أن كل الخصائص نبحث عنها من أجل السعادة؛ يتضح لنا أنها تنتمي إلى الخير، لذلك يظن بعض الناس أن السعادة هي الخير أو الفضيلة والبعض الآخر يظن أنها الفطنة أو الحكمة. وأخيرًا هناك من يرى السعادة في كل هذ الصفات معًا، أو إحداها مقترن بالبهجة أو مصاحب لها.

7 - عودة للحديث عن السعادة

فإن عدنا إلى الحديث عن السعادة، وسألنا إن كانت السعادة شيئًا يمكن أن نتعلمه أو نكتسبه بالتدريب، أو أنها توجد بطريقة أخرى مما يلي:

- إن كان كل ما يمتكه البشر هو من المنح الإلهية؛ فمن المحتمل جدًا أن تكون السعادة كذلك. فهي أفضل تلك المنح. وإن لم تكن السعادة هابطة لنا من السماء، فإنها من الفضائل أو تأتي عن طريق الدراسة والتدريب. وهكذا فهي تبدو كواحدة من أكثر الأشياء قدسية. وبما أن غاية الفضيلة يجب أن تكون خيرًا أسمى، إذن فهو مقدس ومبارك.
- يمكن تحقيق السعادة عن طريق الدراسة، وكل ما يبذله من يدرسها من أشخاص تعتبر أعمالهم من الفضائل.
- إن كان من الأفضل للإنسان أن يكون سعيدًا نتيجة جهوده الشخصية وليست هبة لم يبذل جهد في الحصول عليها، فمن المعقول أن نفترض أن هذا هو طريق الفوز بها. ونفس القاعدة تنطبق على المنتجات الفنية.

وهناك أسباب وجيهة تجعلنا لا نستطيع وصف ثور أو حصان أو أي حيوان بأنه سعيد. وذلك لأن أي حيوان من هذه الحيوانات لا يستطيع المشاركة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعمال نبيلة. ولا يمكن للأطفال أن يكونوا سعداء لأنهم لا يمكنهم المشاركة في أعمال نبيلة إلا بعد أن يكبروا. وذلك لأن السعادة بحاجة إلى أمرين: صلاح تام وحياة كاملة.

8 - السعادة المطلقة

من جهة أخرى، هل لنا أن نعتبر أنه لا يوجد إنسان يمكن أن يشعر بسعادة مطلقة طالما أنه لا يزال على قيد الحياة؟ أو بمعنى آخر أن نتبع تحذير سولون[1] و«نفكر في النهاية»؟ وهذا السؤال يحمل فكرة غريبة جدًا. خصوصًا بالنسبة لنا نحن الذين نُعرّف السعادة بأنها صورة من صور النشاط، لكننا من جهة أخرى نرفض أن نصف من مات فعلاً بأنه سعيد. وكلمات سولون لا تعني ذلك فقط، بل تعني أيضًا أن الإنسان عندما يموت يمكن أن نسميه آمنًا ومباركًا، وذلك لأنه أصبح بعيدًا عن أن يناله حزن أو شر. لكن هذا الأمر محل خلاف أيضًا. فهناك من يرى أن الميت يمكن أن يحدث له ما يحدث للأحياء من منغصات أو أفراح. كما أن من يموت ويترك ذرية بعده؛ قد ينعم بعضهم بأنواع الخير والثراء وقد يعاني آخرون من نكبات السنين. رغم أن الجميع على نفس درجة القرابة من الجد المتوفى.

وإن عدنا إلى مشكلتنا الأساسية -فقد يكون لها أثرًا على الموضوع الرئيسي- فإن كان علينا أن نفكر في النهاية ونهنئ الشخص الميت؛ ليس لأنه أصبح مباركًا فعلاً؛ ولكن لأنه كان مباركًا في الماضي.

ولكل ما سبق، فإن الإنسان السعيد لابد أن يتوفر له الاستقرار المطلوب ليظل سعيدًا طوال حياته. وسيظل كذلك مادام محافظًا على أداء أعمال

---

(1) - كان سولون أشهر مشرع في أثينا في القرن السادس ق.م. وقد أرسل إلى الملك كريسوس وكان شديد الثراء يقول له «فكر في النهاية».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتأمل أشياء تتمشى مع الفضيلة؛ كما أنه سيتحمل التقلبات بقدر عال من النبل لأنه صادق وحازم.

إلا يمكننا إذن أن نعلن ونحن واثقون أن ذلك الشخص السعيد هو من يراعي الفضيلة في كل أعماله؛ وقد وهبته الطبيعة خيرات طوال حياته؟ أم أنه يجب علينا أن نضيف أنه يجب أن يكون مقدرًا له الاستمرار في العيش بنفس الأسلوب وأن يموت على ذلك الحال؟ إن كان الأمر كذلك؛ فعلينا أن نعتبر من هم على قيد الحياة هم من تحلوا ويتحلوا وسوف يتحلوا بكل الصفات الحميدة، وسنعتبرهم سعداء جدًا؛ بالرغم من أن تلك السعادة سعادة بشرية.

ويكفي هذا القدر في مناقشتنا لهذا الموضوع.

و - سعادة الميت

أما أن نصف سعادة الميت بأنها لا تتأثر مطلقًا بما يجري مع أحفاده ومعارفه بصفة عامة، فهذا أمر شديد القسوة ويتناقض مع المعتقدات المقبولة، فأحداث الحياة عديدة ومتغيرة وتختلف درجة تأثيرها علينا. وحتى المصائب الشخصية رغم ثقلها وتأثيرها الشديد في بعض الأحيان، إلا أنها قد تبدو في حالات أخرى أقل أهمية. ومثال ذلك أيضًا تلك المصائب التي تصيب أصدقاء لنا، حيث نتأثر بها بحسب علاقتنا بذلك الصديق الذي أصابته.

ومن المحتمل أن يتأثر الموتى بالأحداث الطيبة التي تحدث لمحبيهم، كما يتأثرون بمصائبهم أيضًا. لكن ذلك التأثر ليس شديدًا لدرجة أن يتحول السعيد إلى حزين أو يتحول الحزين إلى سعيد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

10 - موقفنا من السعادة

وبما أننا انتهينا من هذه الموضوعات، لابد لنا أن نصل إلى سؤال؛ وهو: هل السعادة شيئًا نمتدحه؟ أو نسعى إليه ونمجده؟ وذلك لأنه من الواضح أنها ليست مجرد قدرة، مهما كانت الظروف.

ويبدو أن ما نمتدحه من أشياء تلقى مدح دائم لأن لها خواص محددة، ولها علاقة بشيء ما. فنحن نمتدح العادل والشجاع والطيب والفاضل بصفة عامة. وذلك لأعمالهم الطيبة. كما أننا نمتدح أيضًا القوي وسريع الخطى وسليم البنية لما لهم من ضفات طبيعية محبوبة ولعلاقتهم بأعمال طيبة.

ومن كل ما سبق يمكننا أن نوجز ونقول إن السعادة شيء محبب وكامل. ويستتبع ذلك أن كل ما يفعله كل الناس هو من أجل تحقيقها، لذلك فهي سبب لكل الأشياء الطيبة التي نجمع على أنها محبوبة ومقدسة.

11 - العلاقة بين السعادة والفضيلة

لكن، ولأن السعادة نشاط مرتبط بالفضيلة، كان من الضروري أن ندرس طبيعة الفضيلة؛ لأن ذلك قد يساعدنا في البحث عن طبيعة السعادة.

ومن الواضح أيضًا أن السياسي الحق هو من درس الفضيلة دراسة خاصة بهدف أن يجعل المواطنين صالحين وملتزمين بالقانون.

وهكذا يتضح أن الفضيلة التي يجب أن نتناولها فضيلة إنسانية مادام الخير أو السعادة اللذان نسعى إليهما هما خير إنساني وسعادة إنسانية. والفضيلة الإنسانية تعني في نظري تفوق النفس وليس تفوق الجسم. أما عن تعريفي للسعادة فهي نشاط للنفس. فإن كان الأمر كذلك فإن على السياسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يلم بعلم النفس؛ تمامًا مثلما يدرس طبيب العيون أعضاء الجسم الأخرى ويعرف تشريحها.

12 - علم النفس

والآن، وإن تحدثنا عن علم النفس، فإن بعض ما كشفته المحاورات الفرعية من اتجاه لتعليمه أمر مرض تمامًا. ويمكننا أن نؤيده هنا. وهذا الاتجاه يرى أن علم النفس قسمين؛ قسم عقلي وقسم لا عقلي. إما إن كان هذان القسمان في الحقيقة واضحين -أي أنهما مثل الجانبين المحدب والمقعر لمنحن- فهذا أمر غير مهم.

أما الجانب اللاعقلي للنفس؛ فهو مشترك في كافة الأحياء. وهو ينمو مثل النبات. وهو الجانب المسئول عن التغذية والنمو. كما أنه مسئول عن النوم والتنفس وغير ذلك من عمليات لا تتأثر بتوجيهات أو قصد من الكائن الحي. وهذا الجانب لا يتدخل فيه العقل بأي صورة كانت.

أما الجانب الآخر وهو الجانب العقلي فهو موطن الرغبات والشهوات. وهو جانب مطيع ومستسلم عند بعض الناس مما يجعلنا نعاقب الجانحين أو نؤنبهم أو نوجه النصح لهم.

ومن جهة أخرى، إن اعتبرنا أن الجانب الشهواني للنفس على أنه عقلي، فإنه في تلك الحالة ينقسم الجانب العقلي قسمين. أحد القسمين له مبدأ خاص به بالمعنى الصحيح[1]، أما الجانب الآخر فهو مثل الطفل المنصت لأبيه[2].

---

(1) - أي ملتزم بالأخلاقيات والقيم. (المترجم)

(2) - تشبيه للمندفع وراء شهواته بأنه مثل الطفل الذي ينصت لأبيه؛ لكنه يندفع فيما بعد ويفعل ما نهاه عنه. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والفضيلة الآن تختلف أيضًا تمشيًا مع هذا التقسيم للنفس. لذلك فبعض أشكال الفضيلة تسمى فضائل عقلانية وبعضها يسمى فضائل أخلاقية، كالتالي:

- الحكمة والإدراك والفطنة من الفضائل العقلية.
- الكرم والاعتدال من الفضائل الأخلاقية.

كما أننا نمتدح الشخص بوصفه بأي من الصفات المذكورة. وكل الطباع الجديرة بالمدح والثناء تسمى فضائل.

***

الفلسفة الغائية

أضفت فيما يلي فصلاً قصيرًا من كتاب أرسطو عن الفيزياء. وهو يتناول موضوعًا سبق أن أشرنا إليه؛ وهو الفلسفة الغائية. وبالرغم من أن المحاورة قد يظن البعض أنها مضللة وغير مفيدة، إلا أنه عرضها بطريقة جيدة تقدم مثالاً جميلاً لأسلوب أرسطو:

يجب علينا الآن أن نفكر في السبب الذي يجعل الطبيعة تضع العلل الكثيرة لأشياء غائية، أي أن لها هدف. بل إن الأكثر من ذلك، يجب علينا أن نفكر في معنى «الضرورة» التي تفرضها الطبيعة؛ وذلك لأن المفكرين يرجعون الأشياء إلى الضرورة كعلة. ويقولون إنه مادام الساخن ساخنًا والبارد باردًا ... الخ فإن أيًا منهما موجود «بالضرورة». وحتى إن كان منهم من يرد بعض الأحوال إلى علل أخرى مثل: التعاطف والنفور والعقل، إلا أنه سرعان ما يتخلى عنها بعد الإقرار بها.

وهنا يثار سؤال مهم:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هل لدينا أي سبب لنعتبر أن الطبيعة مسئولة عن أي هدف؟
- أم أنها تسعى إلى تفضيل شيء على آخر؟

فإن كنا نقول إن الطبيعة تمطر ليس من أجل أن ينمو القمح، فهو ينمو بالضرورة. لأن المطر إن سقط على قمح مشون تفسده، فليس لها غاية إذا لا في هذه ولا في تلك، بل إنها الضرورة. وإن طبقنا نفس الحال على أجزاء من جسم الإنسان؛ مثل الأسنان. سنجد الأسئلة التالية ممكنة:

هل من الصدفة أن الأسنان الأمامية حادة ومناسبة لقطع الطعام وأن الأسنان الخلفية منبسطة ومناسبة لطحن الطعام؟

هل هذا محض صدفة؟

وهذا هو نفس الحال مع كافة أعضاء الجسم؛ فكل منها معد ومهيئ لغرض محدد. كما أن هناك أمثلة مماثلة في الحيوانات والنباتات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بلاد الإغريق بعد أرسطو

الفصل السادس

عندما مات الاسكندر الأكبر في عام 323 ق.م. كانت امبراطوريته التي كونها بالغزو شديد السرعة تشتمل على مملكته في مقدونيا ومصر ومساحات شاسعة من الأراضي الآسيوية التي تمتد من شرق المتوسط إلى شمال الهند. ولم يكن له وريثًا، ولم يضع أي خطة تحدد من يخلفه. لذلك كان من المحتم أن يتبع موته بالضرورة عدة سنوات من الصراعات والاضطرابات على ما تبقى من مملكته الكبيرة. ولذلك يمكننا أن نعتبر أن عام وفاته يعتبر بداية لتلك الفترة المضطربة التي كان لها تأثير شديد على الفكر الفلسفي.

وبداية من تلك الفترة تدهورت الأهمية السياسية لمدن الإغريق. وكان الإسكندر يعتبر أن المدن الإغريقية -نظريًا- حلفاء مستقلين وكان خلفائه مستعدون للاستمرار في تلك السياسة. ما دامت تحقق مصالحهم. لكن تلك المدن مرت بفترات سقوط ودرجات من الاستسلام غريبة جدًا، ولم تخمد أبدًا ميول تلك المدن إلى النزاعات فيما بينها. لذلك ففي عام 275 ق.م تقاسمت تلك المدن أسر ثلاثة من قادة الاسكندر كما يلي:

- أسرة الأنتجونيين في مقدونيا.
- أسرة البطالمة في مصر.
- أسرة السلوقيين في الشرق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وظلت الحروب مستمرة فيما بين تلك الأسر حتى قرب نهاية القرن الثالث قبل الميلاد؛ حينما برز نفوذ روما وبدأت تسيطر على السيادة تدريجيًا. وبعد صلح أباميا الذي عُقد في عام 188 ق.م. بين روما وأنتيوكس السلوقي لم يعد بمقدور أي مدينة إغريقية أن تدعي الاستقلال. وفي عام 148 ق. م. أصبحت مقدونيا ذاتها ولاية رومانية. وأصبحت بلاد الإغريق محمية تحت إشراف مباشر من روما.

لكن في تلك الفترة لم تكن بلاد الإغريق تئن من التدهور السياسي والحروب فقط، بل إنها كانت تعاني من ضغط اجتماعي خطير. وكان ما حدث من اتحاد في كثير من أنحاء العالم أثناء عصر الاسكندر الأكبر قد أدى إلى امتزاج أكثر تحررًا بين الأجناس والقوميات؛ كما أدى إلى مزيد من الحريات في الفكر وإلى تسامح ديني وتوسع في التجارة وازدهار في الاقتصاد. وقد تميزت تلك الفترة بالرخاء غير المستقر. وفي جميع أنحاء بلاد الإغريق وفي بحر ايجه؛ عاش كثير من الناس على الكفاف. وكان الخطر الدائم يكمن في تحول المشكلات السياسية إلى صراعات مباشرة وعنيفة بين الفقراء والأغنياء. وهكذا مرت اسبرطة في النصف الثاني من القرن الثالث بثلاث ثورات اجتماعية متعاقبة وعنيفة.

وفي ذلك العالم التوسعي المتغير المقامر الخطير، زاد الإحساس بفراغ يمكن للفلسفة أن تملأه. وأصبح الانصياع التام للعرف شيء حتمي ولابد منه. واندثرت العادات القديمة وأصبحت باطلة وانهارت التقاليد. وفي ذلك الوقت لم يكن للدين تأثير واضح أو كيان مؤثر. لذلك أقبل الناس على الاهتمام بالفلسفة. وكانت صورة الملتح الفقير ذو المظهر الغريب الزاهد في الدنيا ذو الخلق لا تزال عالقة في أذهان الجميع. وبالرغم من وجود

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الفلاسفة على رأس مدارس في تلك الفترة إلا أن هناك أيضًا من هم متجولون.

وكان من الضروري في تلك الظروف أن تحدث حركة مفاجئة تبتعد عن كل ما وضعه أفلاطون وأرسطو. لكن كان من الصعب على الفلاسفة في تلك الفترة تحقيق كل المتطلبات الجديدة، نظرًا لالتزامهم الشديد بالتقاليد. كما كان من الضروري في تلك الفترة قيام مدارس فلسفية جديدة.

لذلك ففي الفصول الثلاثة التالية سنتناول المدارس الفلسفية الأربعة التي قامت بعد عصر أرسطو. ومنها المدارس الرواقية والأبيقورية. ومن الملاحظ أن تلك المدارس كانت تعادي بعضها وتتنافس فيما بينها. وكانت المدرستين الرواقية والأبيقورية أهمها وأكثرها تأثيرًا. وكان من النادر أن يكون لمدارس الكلبيون والشكيون تأثيرًا مماثلاً بالرغم مما حققه المتحدثون في تلك المدارس من نجاح والتزامهم الشديد بعادات محددة. وقد ارتبطت المبادئ الفلسفية والأخلاقية للمدرسة الأبيقورية والرواقية والكلبية قبلهما بحياة الإنسان وما يمر به من محن وظهر ذلك وطغى على تناول أي مشكلات وموضوعات نظرية.

Telegram:@mbooks90

وكان الشكيون قادرين على نصح الناس باتباع مذهبهم لأنه يريحهم من القلق؛ حيث من المريح أن يقنع الشخص أنه لا يوجد ما هو مطلق سواء كانت عقيدة أو مبدأ أيًا كان ثباته. وبناء على ذلك فكل الصراعات الفكرية لا جدوى من ورائها في النهاية. وبحث الفلاسفة عن الطمأنينة والأمان بدلاً من الانشغال بالبحث عن الفضيلة أو عن السعادة كما كان الحال أيام أرسطو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تطوير آخر لنظرية الذرة

الفصل السابع

ديموقريطس وأبيقور:

ديموقريطس (460-370 ق.م.)

كثيرًا ما يُذكر ديموقريطس على أنه من الفلاسفة السابقين لسقراط، وذلك فقط أن اسمه ارتبط باسم ليوسيبوس نظرًا للعلاقة الوثيقة بينهما. لكن في الحقيقة يحتمل أن يكون ديموقريطس بدأ اهتمامه بالفلسفة قبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سقراط. إذن فهو ينتمي إلى عصر سقراط والسفسطائيين أكثر من انتمائه إلى عصر التقصي البحت. وقد ولد في مسقط رأس بورتاجوراس. وكان لا يهتم بالطبيعة فقط بل بطبيعة الإنسان مثل سقراط. عاش تسعين عامًا، ورغم تعدد أسفاره إلا أنه عاش أغلب حياته في مسقط رأسه «أبديرا» حيث أنشأ مدرسة للفلسفة هناك. وقد نال لقب «حكيم» بسبب ما لديه من علم غزير؛ ثم بعد ذلك عُرف باسم «الفيلسوف الضاحك». وربما يكون سبب ذلك هو نظريته عن «الابتهاج».

أما عن مؤلفاته، فقد كتب في كل فروع المعرفة، إلا أن ما تبقى منها قليل جدًا. ومما يدعو إلى الاستغراب فعلاً أن أفلاطون لم يشر إليه مطلقًا وهذا إغفال مؤسف؛ حيث يمكننا أن نعتبر ديموقريطس هو مؤسس المذهب المادي.

نظرية الذرة:

وقد تولى ديموقريطس بعد «ليوسيبوس» نظرية الذرة وطورها ليس فقط من أجل الإجابة على السؤال الرئيسي: كيف نعرف أي شيء؟ ولكن أيضًا من أجل الإجابة على أسئلة أخرى كثيرة. ويحتمل أنه أضاف وصفًا إلى أوصاف الذرة وهو أنها غير محدودة الحجم. فهو يقول إن بعض الذرات يمكن أن تكون كبيرة جدًا؛ واللاشيء أيضًا له وجود؛ وهو أيضًا لا نهاية له.

وبما أن الذرات مختلفة الحجم والشكل، فمن الممكن أن تتجمع في أشكال مختلفة اختلافًا لا نهاية له. كما أن تحركات الذرات في الفضاء يمكن أن تكون متنوعة إلى ما لا نهاية. ويمكن أن تتصادم وتقفز فوق بعضها أو تتشابك وتكون عقدِ وقتية. ومنها قد تتكون أجسام لا يدركها فكرنا ولا احساسنا ولا خبراتنا. ولذلك يرى ديموقريطس (أو ليوسيبوس أو كليهما) أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معرفتنا لوحيدة الصحيحة هي عن الذرات والفضاء. أما المعرفة التي تصلنا عن طريق الحواس فهي معرفة زائفة. لكن ذلك لا يعني عدم الأخذ بالبراهين التي تعتمد على الحواس مطلقًا.

أما عن العقل أو النفس (ديموقريطس لا يميز ما بين الإثنين) فهو بلا شك مادة. ومن المفروض أنه مكون من ذرات مستديرة ونارية بطريقة خاصة توزعها على الجسم كله. وعن طريق هذه الذرات نتلقى انطباعات أو أوهام عن أشياء خارجية.

ونظرية الذرة معقدة جدًا ولا يمكننا أن نوجزها في فقرات مختصرة في هذا الكتاب. كما لن نتمكن أيضًا من تناول نظرية الخلق عند ديموقريطس، وهي نظريته عن المجيء إلى الوجود من عوالم متعددة لا يمكن حصرها بسبب الدوران السريع. ويمكننا أن نلاحظ أن ديموقريطس كلما تحدث عن العلاقات أوجد لها عللاً ميكانيكية سببها تحركات الذرات في الفضاء.

نظريته الأخلاقية

وفيما يخص نظرية ديموقريطس الأخلاقية، فمما يزيد من دهشتنا أنه بالرغم من نظريته الميكانيكية للواقعية، إلا أنه لم يهتم بمشكلة الإرادة الحرة (الاختيار) والجبرية على الأطلاق. فهو يرى أن الاختيار موجود وهو هدف الحياة الطيبة. ويبدو أنه يقصد بـ«الابتهاج» حالة رضا الإغريق في عصره واتزانهم وثباتهم واحساسهم وفطنتهم. كما أنه يعترف بالعرف المعتاد في عصره تمامًا مثل اعترافه بالحياة السياسية. وهناك أوجه للتشابه بينه وبين أبيقور فيما يخص بعض نواميس الحياة، إلا أنه من المستحيل أن نقول عنه إن نظريته الأخلاقية مرتبطة ارتباطًا منطقيًا بمنهجه العام للفلسفة المادية. ونفس الكلام يمكننا أن نقوله أيضًا عن أبيقور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبيقور:

أما أبيقور الذي ألف الكثير من الكتب؛ فقد ظهر بعد ديموقريطس بأكثر من مائة عام. ولم يكن أكثر من منسق للأفكار. وهو يوصف أحيانًا بأنه أخلاقي وذلك لالتزامه بمبادئ نظريته الأخلاقية. وقد تولى دعم نظرية الذرة التي نادى بها ديموقريطس وليوسيبوس وذلك بإضافتها فقط إلى فلسفته الخاصة بالحياة الصالحة. لكن «سيريل بيري» أجرى دراسة عن أبيقور ورأى أن هذا الرأي خاطئ تمامًا. حيث أن أبيقور يعد واحدًا من أهم المفكرين الذين عاشوا على ثبات المبدأ. وهو بعيد جدًا عن أن يؤيد مبدأ ديموقريطس دونما نقد. كما رأى أنه أدخل على مبدأ ديموقريطس تعديلات مهمة، وهو يفعل ذلك في كل ما تناوله. فعدل مبادئ ديموقريطس لتصبح متوائمة مع نظريته الأخلاقية. وبهذا يكون قد وضع منهجه الذي أصبح من منهجين فلسفيين استمرا حتى نهاية القرن الرابع تقريبًا.

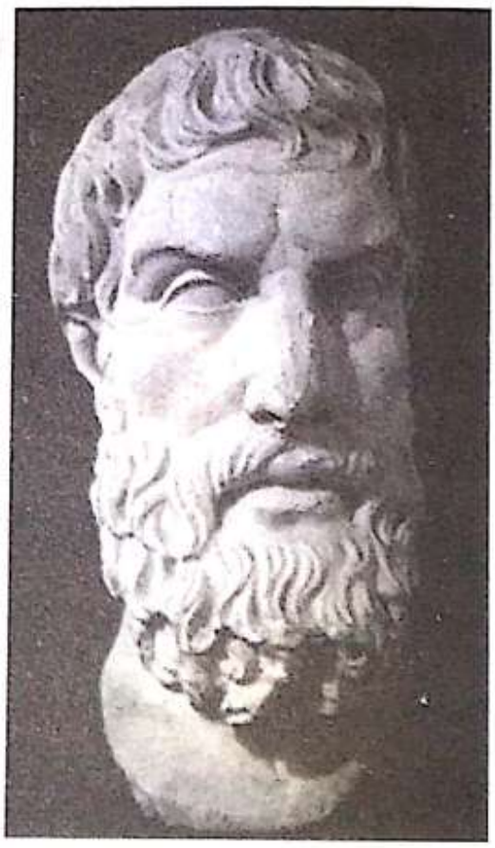

أبيقور (341-270 ق.م)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرواقية والابيقورية:

يمكننا أن نصف الرواقية والابيقورية بأنهما عقيدتين؛ كما يمكن تسميتهما فلسفتين. وهما لم يتناولا تفسير الطبيعة فقط -مثلما حاول المفكرون من عهد طاليس إلى عهد ديموقريطس- بل تناولا أيضًا نوعًا آخر من مذهب الشك الذي كان ظهوره نتيجة لأحداث تاريخية؛ كان من أهمها انهيار وتدهور نفوذ أثينا والمدن الإغريقية الأخرى كما ذكرنا من قبل.

تحول واضح

وبعد موت الاسكندر الأكبر، لم يعد من الممكن التفكير بطريقة سقراط أو أفلاطون. حيث ساد في ذلك الوقت إحساس بعدم الاهتمام بالسياسة؛ ولم يعد للمدينة وجود لا كمثل أعلى ولا كحقيقة عملية. لكن ربما أدى تحرر الإنسان من اعتماده على المدينة إلى تحقيق مكاسب له بطريقة ما. حيث فتحت أفاقًا أرحب؛ وربما يكون الإنسان قد ضل في تلك الفترة؛ وأصبح معرضًا لخطر في عالم أكبر من أن يفهمه أو يتحكم فيه. وكان الإنسان في حاجة إلى الأمان وظروف الحياة العادية. وكان أبيقور يحاول أن يقدم له هذا الأمان المنشود.

اعترض أبيقور على نشأته وسخر منها؛ كما كان يستخف بديموقريطس ويسخر من معلمه الذي درس على يديه في شبابه وهو «نوسيفانيز» وأسماه بـ«الحيوان الرخوي» وذلك بالرغم من إنتاجه الفلسفي الكبير (يقال أنه ألف 300 كتاب). كما كان أبيقور يستخف بإنتاج أي شخص غيره ولا يرى أن هناك ما يستحق التعلم سوى ما يمكن أن يقدمه هو. وكان ينصح تلميذه بيثوكليز فيقول: «أيها الشاب المبارك .. أبحر بقاربك هربًا من كل أنواع الثقافة.» ورغم كل ذلك عمل بالتدريس لمدة 36 عامًا في بستان شهير في أثينا. وكان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحب كل طلابه الذكور والإناث؛ وكان أول من يسمح للنساء بدراسة الفلسفة. ورغم أن معظم أعماله فقدت إلا أن ما يخص نظريته وصل إلينا بلا أدنى شك في قصيدة بعنوان «عن الطبيعة» كان الشاعر الروماني لوكريتوس المعاصر ليوليوس قيصر قد كتبها.

ويرى الشاعر لوكريتوس أن أبيقور هو أعظم محب للخير في هذا العالم. وذلك لأنه حرر الإنسان من الخوف بأنواعه المتعددة. وقد قام بذلك العمل النبيل ببساطة شديدة؛ وقد فسر كل شيء بحيث لم يعد هناك أي مجال للشك أو القلق. فطبيعة الأشياء معروفة ويمكن تفسيرها لكل فطن يستطيع الاستماع إلى محاورة.

أما عن المحاورات، فهي عادة تكون شديدة التعقيد، لكنها متماسكة بطريقة غير عادية، وتقوم على إيمان تام بالإحساس بأنها الأساس الوحيد للمعرفة. وكان يرى أن المعرفة الصحيحة الوحيدة هي الإحساس. والتفكير في حد ذاته نوع من الإحساس. وصحيح أن كلاً من الذهن والحواس يمكن توجيههما. والحواس يمكن أن تركز الانتباه، ويمكن للذهن أن يكون رأيًا. لكنهما عمليتان ماديتان تمامًا. فإن وجدنا أن الاحاسيس تؤيد رأيًا أو على الأقل لا تقف ضده، فالرأي إذن صحيح، وإن لم يكن كذلك فهو رأي زائف. ويمكننا أن نسمي هذا المنطق، منطق الإدراك. وكان أبيقور ماهرًا جدًا في محاولات حل المشكلات الواضحة. وكان يصر على القول بأن الشمس والقمر بنفس الحجم الذي يبدوان به تقريبًا.

أما منهجه الكامل فهو استفاد من نظريات ليوسيبوس وديموقريطس لكنها استفادة تتمشى مع مداركه ووجهة نظره الخاصة بحساسية الأشياء. وقد أدخل تعديلات هامة على كلا النظريتين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرية الذرة

أما عن الذرات، يقول أبيقور أن الوزن خاصية من خصائص الأشياء الحساسة، ولذلك فهو يضيف الوزن إلى الخصائص الأساسية للذرات، ويعتبر الوزن سببًا في حركتها. وهو يفترض أن الذرات تميل بطبيعتها إلى السقوط إلى أسفل في الفضاء. إلا أن كثيرًا من الجسيمات متناهية الصغر تتحرك في خطوط مستقيمة متوازية بسرعة منتظمة. وبالنسبة لاتحاد الذرات مع بعضها؛ يؤكد أبيقور أن أي ذرة في أي لحظة يمكن أن تنحرف عن مسارها لسبب مجهول فتصطدم بذرات أخرى. وهنا يتكون مركب من عدة ذرات ويكون بداية لتكوين كل شيء. وهذه النظرية بالطبع لا يعترف بها في علم الفيزياء. وإن قارنا بين أبيقور وديموقريطس في موقفهما من الذرة نجد ما يلي:

- مبدأ ديموقريطس في الذرة بسيط جدًا؛ فهو يرى أن الذرات تتحرك في الفضاء ويمكن أن تكون سببًا لكل شيء. وليس هناك حاجة للبحث عن علة أخرى.

- يرى أبيقور أن ذلك «الانحراف البسيط» في حركة الذرة سببًا لكل ما يحدث من تغييرات. ومن مساوئ هذا الأمر أنه لا يمكن التنبؤ به ولا تفسيره مطلقًا.

نظرية الجبر

ومرة أخرى نجد أبيقور بطريقته الثابتة على المبدأ يرى أن ذلك «الجبر» الذي نادى به ديموقريطس لو تناولته دراسة شاملة لما كان هناك موضعًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للاختيار. ومع ذلك فإن الاختيار حقيقة من حقائق الخبرة. ولذلك فلابد لها من تعليل إما بافتراض أن هناك شيئًا آخر في النفس لا علاقة له بالذرة.

وهذا الرأي الخاص بالانحراف البسيط يعد من أهم التعديلات التي أدخلها أبيقور على نظرية ديموقريطس. كما أنه يستبعد أن تكون هناك ذرات كبيرة جدًا، وذلك لأنها لو كانت موجودة لتمكننا من رؤيتها. إضافة إلى أنه من الصعب جدًا أن نفكر في شيء يمكن أن نراه لكنه لا ينقسم. كما تناول بتفاصيل كثيرة جدًا أراء ديموقريطس عن النفس والإدراك والأجسام المركبة. وليس هناك من شك أن تأثيره الكبير كان بسبب نظريته الأخلاقية على وجه الخصوص.

التحرر من الخوف

في رأي أبيقور أن الإنسان يتحرر من الخوف عندما يدرك حقيقة التكوين المادي للنفس وأنه يستحيل عليها البقاء بعد موت الجسد. أما عن الآلهة فهي أبعد من أن تسبب لنا أي ذعر[1]. وهي من الموضوعات التي يستحسن أن نفكر فيها. وهي موجودة في الأحلام التي تزور الإنسان أثناء نومه. ولكن يمكننا بسهولة أن نبرهن أنها لا دخل لها على الأطلاق بأحوال البشر. والآلهة تعيش في سعادة ولا تهتم بشئون البشر، ولا تعيش في أي سماء محددة بل في فضاءات ما بين العوالم المتعددة.

Telegram:@mbooks90

فإن تحررنا من المخاوف الكبرى، يتبقى لنا أن نحدد ما هي أفضل طريقة لنحيا حياة طيبة. وهنا نجد أن أبيقور -ببساطة ووضوح- يرى أن ما يسعى

---

(1) - سبحان الله عما يصفون. أبرأ إلى الله من كل ما ورد في هذه الفقرة؛ إنه تفكير من يبحث عن إله ولا يعرف طريقًا يهديه إلى سواء السبيل. يقول تعالى في كتابه العزيز: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ. (سورة آل عمران - الآية 185) (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليه الناس هو الفرح والسرور وما يتجنبوه هو الألم ولا حاجة إلى الاستدلال على ذلك.

وهكذا أصر أبيقور على اتباع مبادئه الأولى الثابتة ونتائجها ولا يتزحزح عنها قيد أنملة، فنال شهرة سيئة. وكان من يتشبه به من أتباعه في حب البذخ والحياة الرغدة والراحة يعتبر أبيقوريًا. وكانت تلك الحياة موضع نقد لأنها تنم عن عدم تبصر. كما أن الافراط في الطعام والشراب قد يشعر الفرد بالبهجة، لكن من الممكن أن يعقب ذلك نتائج وخيمة. لكن جماعة من تلاميذه كانوا يرون أن تناول الطعام والشراب البسيط من الفضائل.

إنها عقيدة شديدة الأنانية، إلا أنها شديدة التماسك. بل يمكننا أن نقول إنها جديرة بالاحترام طالما أن أراء أبيقور نفسه عن «المنفعة الذاتية المتنورة» تراعي حدود الأدب (باستثناء ما يخص الإنجاب) وتدعم الحكومة القديرة.

وعلى الرغم من كل ذلك يجب علينا أن نسلم بأن مبادئ ذلك المعلم لا تلتزم تمامًا بتقاليد المجتمع. فلو فرضنا إن إنسانًا ما يستطيع هضم كميات كبيرة من الطعام، فلا يمكننا أن نلومه إن قضى حياته في الأكل والشرب. وإن كان هناك من هو عاجز عن الشعور بتأنيب الضمير وقوي بدرجة تمكنه من الإفلات من العقاب؛ فليس هناك مانع أن يرتكب جريمة محسوبة بدقة قد تبهج نفسه.

وبعد موت هذا المعلم بمائتي عام، كانت أراءه منتشرة في روما، نجد أن شخصيات مهمة مثل لوكريتوس ويوليوس قيصر وكاسيوس لهم أراء عن الحياة الهادئة تختلف تمامًا عما قاله أبيقور. وهذا دليل على توسع وانتشار المذهب المادي. بل إن كثيرًا منا أبيقوريون دون أن يعلم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما بقي من أعمال أبيقور

لم يتبق لنا من أعمال أبيقور سوى كتاب صغير، عرف باسم «الآراء الأساسية». وهناك خلاف حول أن أبيقور هو المؤلف. لكن أكثر الآراء ترجح أن الكتاب من تأليفه. لذلك قررت أن أنقل بعض موضوعاته للقارئ:

1 - الطبيعة المباركة الأزلية لا تعرف أي اضطراب ولا تسبب اضطرابًا لأحد.

2 - الموت لا يهمنا، لأن ما يتحلل بلا إحساس. ومن بلا إحساس لا يعنينا.

Telegram:@mbooks90

3 - الخلاص من كل ما هو مؤلم هو أقصى حدود البهجة. أينما توجد البهجة فلا وجود للألم الجسماني أو العقلي أو كليهما معًا طالما هي موجودة.

4 - لا يستمر الألم في الجسم، وأشد الألم يصيب الجسم لفترة قصيرة جدًا. كما أن الأمراض المزمنة تسمح بتغلب البهجة على الألم.

5 - من المستحيل أن تكون هناك بهجة دون فطنة وشرف وعدل. ولا يمكن أن تكون هناك فطنة وشرف وعدل دون وجود بهجة.

6 - ضمان الحماية من الناس خير طبيعي، فهي تمكنك من أن تبلغ أهدافك.

7 - بعض الناس يحب الشهرة والصيت. وهم يظنون أنهم بذلك يحظون بالأمن أكثر من غيرهم من الناس.

8 - البهجة ليست شيئًا سيئًا في حد ذاته. لكن تلك الوسائل التي تحدث البهجة قد تحدث اضطرابات قد تكون أعظم من المباهج عدة مرات.

9 - إن كان بالإمكان تكثيف البهجات وزيادتها، لما اختلفت المباهج عن بعضها أبدًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

10 - إن تمكنت الأشياء التي تسبب البهجة للمبذرين أن تزيل مخاوف ظواهر السماء والموت وآلامه، فلا يجب علينا أن نلومها أبدًا.

11 - إن لم نقلق ونفكر في الظواهر الطبيعية وفي الموت وعجزنا عن إدراك حدود الألم، فلسنا بحاجة إلى علوم الطبيعة.

12 - لا يمكن للإنسان أن يتخلص من مخاوفه إن لم يكن على علم بطبيعة الكون. كما أنه يشك في القصص الأسطورية. وبدون علوم الطبيعة يستحيل أن نحقق البهجة بدون إزعاج.

13 - ليس هناك فائدة تأتي من وراء طلب الحماية من الناس، وذلك إن بقي كل ما يحيط بنا محل شك.

14 - أفضل مصدر خالص للحماية من الناس، هو تلك المناعة الناتجة عن الحياة الهادئة والعزلة عن العالم.

15 - الثراء الذي نطلبه من الطبيعة محدود ويسهل الحصول عليه. أما الثراء الذي تطلبه مخيلة الخامل فلا حدود له.

16 - في بعض الأحيان تعوق الصدفة أحد الحكماء، لكن العقل يمكنه من التغلب على ذلك وينظم حياته.

17 - العادل هو أكثر الناس تخلصًا من المتاعب؛ والظالم هو أكثر الناس همًا.

18 - متعة الجسد لا تزداد لو زال الألم الناتج عن الرغبة. لكنها تتنوع فقط. أما المتعة الذهنية فيولدها الإدراك العقلي لنفس المتع والعواطف المماثلة لها.

19 - لو قاس المرء حدود المتعة بعقله، فإن الوقت اللامحدود يتضمن متعة أكثر مما يتضمنه الوقت المحدود.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

20 - يدرك الجسد أن المتعة غير محدودة وتحقيقها يحتاج إلى وقت غير محدود.

21 - من يعرف حدود الحياة يعرف أنه لا يزيل الألم إلا الرغبة التي تجعل الحياة كاملة، ومن السهل الحصول عليها.

22 - يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن كلاً من الغرض الحقيقي وكل دليل على الإدراك المباشر هما أساس أي رأي. وألا فإن كل الأمور محل شك وريبة.

23 - لو حاربت كل الأحاسيس فلن تجد معيارًا تستطيع أن تحكم من خلاله حتى على تلك التي تراها زائفة.

24 - إن اختلطت عليك الأمور ولم تستطع التمييز ما بين المظهر والجوهر لن تستطيع تجنب الخطأ.

25 - إن أرجعت كل أفعالك ليس إلى غاية الطبيعة ولكن إلى أقرب معيار لن تتمشى أفعالك مع مبادئك.

26 - كل ما لا يؤدي إلى إحساس بالألم فلا ضرورة له إن لم يكن مُرضيًا.

27 - كل الأشياء التي تمنحها لنا الحكمة هي بركة الحياة الكاملة وأهمها الصداقة.

28 - ذلك الإيمان الذي يمنحنا الثقة في أنه لا يوجد خوف دائم أو مستمر إلى الأبد يجعلنا ندرك أيضًا أن الصداقة بلغت غاية الكمال لما في هذه الحياة من شرور محدودة.

29 - توجد رغبات طبيعية وضرورية ورغبات ليست طبيعية ولا ضرورية؛ وهناك رغبات أخرى لا هي طبيعية ولا ضرورية بل تعود إلى تصور باطل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

30 - هناك بعض الرغبات الفيزيائية تعود إلى تصورات الإنسان الجوفاء.

31 - تعتبر العدالة الناشئة عن الطبيعة منفعة متبادلة بين الناس؛ تمنعهم من إيذاء بعضهم وتنقذهم من الأذى.

32 - أما الكائنات الحية التي لم تكن قادرة على وضع مواثيق حتى لا تؤذي بعضها بعضًا أو تتأذى، فليس هناك ما هو عادل أو ظالم؛ وبالمثل أيضًا لجميع قبائل البشر التي لم تكن قادرة أو غير راغبة في عقد مواثيق بعدم الإضرار أو التعرض للأذى.

33 - ليست العدالة شيئًا في حد ذاتها، ولكنها تظهر في تعامل الناس مع بعضهم في أي مكان وفي أي وقت، فهي نوع من التعهد بعدم الإضرار أو التعرض للأذى.

34 - ليس الظلم شرًا في حد ذاته، لكنه نتيجة الخوف الذي يرتبط بالتخوف من عدم القدرة على الهروب ممن تم تعيينهم لمعاقبة من يرتكب أفعالاً بعينها.

35 - لا يجوز لمن يعمل سرًا بالمخالفة لبنود ميثاق ألا يؤذي أو يتأذى، أن يثق بأنه لن يكشف أمره، حتى لو هرب في الوقت الحاضر ألف مرة. لأنه لا يمكن الجزم بأنه سينجو بالفعل إلى أن يموت. فقد يكتشف أمره في أي وقت.

36 - العدالة واحدة للجميع، لأنها نوعًا من المنفعة المتبادلة في تعامل الناس مع بعضهم، ولكن إن علمنا أن هناك خصائص فردية لبلد ما أو أي ظروف أخرى، لا يمكن أن يكون الشيء نفسه عادلا للجميع.

37 - من بين الإجراءات التي يقرها القانون على أنها عادلة، ما ثبت عند

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفحص أنه مفيد في متطلبات تعامل الناس مع بعضهم لكنها وضعت لضمان العدالة، سواء كانت مناسبة للجميع أم لا. لكن إذا وضع الإنسان قانونًا ولم يتضح أنه يؤدي إلى ميزة في تعامل الناس مع بعضهم، فلن يكون له صفة العدالة فيما بعد.

38 - إن لم تتوافق الإجراءات التي اعتبرت عادلة مع المفهوم العام للممارسة الفعلية، فهي ليست عادلة.

39 - كان الإنسان أفضل من يتحكم في عنصر القلق بسبب ظروف خارجية. وقد جعل كثيرًا مما حوله مناسبًا له أو مألوفًا على الأقل. وقد تحاشى الاختلاط مع كل ما لا يمكن أن يتعامل معه.

40 - هناك كثير من الناس يتمتعون بحصانة تامة مع الجيران، وهم يعيشون في سعادة تامة مادام بينهم ميثاق أمان، وهم يأسفوا لرحيل صديق عزيز دون نواح.

وفيما يلي مقتطفات بعض الموضوعات التي تناولها لوكريتوس من نظرية أبيقور في قصيدته المعنونة «عن الطبيعة»:

1 - لا معيار للحقيقة سوى الحواس

لو ظن أي منا أنه لا يعرف أي شيء، أي أنه لا يعرف أن افتراضًا ما يمكن أن يكون معقولاً أم لا. وهو يقر بأنه لا يعلم أي شيء. وهو يدرك أن ليس هناك فائدة من وراء جدل يدور بينه وبين أي شخص آخر حول أي شيء. وإن كان مقتنع بذلك فعلاً فعلينا أن نسأله:

- كيف يفرق بين ما يعرف وما لا يعرف؟
- ما الذي أوصله إلى مفهوم الصواب والخطأ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هل هناك ما يساعده في التوصل إلى ما هو يقين وما هو موضع شك؟

سيجد أن مفاهيم الصواب تأتي في المقام الأول من الحواس، وبرهان الحواس لا يمكن دحضه. ولكي يحدث ذلك لابد من وجود معيار أقوى من الحواس وقادر على اثبات الخطأ وتأكيد الحقيقة. لكن ما هو ذلك الشيء الأقوى من الحواس. وكيف يكون العقل هو ذلك الشيء وهو قائم على الحواس؟ فإن لم تكن الحواس صادقة؛ فكيف يكون العقل صادقًا؟ أما عن العلاقة بين الحواس؛ فلك أن تتأمل الأسئلة التالية:

- هل من الممكن لبرهان السمع أن يتحدى برهان البصر؟
- هل من الممكن لبرهان اللمس أن يتحدى برهان السمع؟

إلى غير ذلك من أسئلة مشابه تجمع بين الحواس المختلفة. والإجابة بالطبع: «لا». لأن كل حاسة لها وظيفتها الخاصة وقوتها الذاتية. ويجب علينا أن نستخدم حاسة معينة لتحديد ما هو أملس وحاسة أخرى للتعرف على الألوان والأشكال. وبالتالي لا يمكن لحاسة واحدة أن تثبت خطأ حاسة أخرى. ولا يمكن لنفس الحاسة أن تثبت على نفسها الوقوع في خطأ. وإن ثبت فعلاً أن العقل عاجز عن تفسير لماذا تبدو الأشياء مربعة عن قرب بينما تبدو مستديرة عن بُعد. فمن الأفضل تقديم تفسير غير صحيح لهذه الأشكال عن أن يفقد الإنسان اهتمامه بها؛ أو أن يعلن شكه فيما تقوم عليه الحياة والوجود وهو الإحساس. لن ينهار بناء العقل بالكامل فقط، بل تنهار الحياة ذاتها أيضًا.

2 - المادة والفضاء

كل ما في الوجود مكون من شيئين: الأجسام والفضاء الذي يوجد فيه هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأجسام. وفي ذلك الفضاء يمكن للأجسام أن تتحرك في جميع الاتجاهات. أما الإحساس وهو موجود عند كل البشر فهو ما يقر بأن الجسم موجود. وإن لم نتمسك بشدة بالإيمان بوجود إحساس، فلن يكون ليدنا ما يمكن أن نرجع إليه ونصل إلى نتائج منطقية مقبولة.

والأجسام نوعان؛ هما:

- ذرات أصلية.
- مركبات مؤلفة من عدة ذرات.

الذرات الأصلية لا توجد قوة يمكنها أن تحطمها، فأجسامها صلبة وقادرة على مقاومة كل الهجمات لأطول مدة. ولا يمكن أن يوجد شيء في قوتها وقدراتها. فالصواعق تضرب البيوت والحديد يمكن صهره وكذلك معادن أخرى، إلا أن الذرات المكون منها هذه الأشياء تظل موجودة تتحول صورتها فقط من الصلب إلى السائل أو غير ذلك. لكنها تظل موجودة. أما المركبات المؤلفة فهي تتكون من اتحاد عدة ذرات مع بعضها.

3 - الانحراف الذري

تهبط الذرات إلى أسفل في خطوط مستقيمة في الفضاء بسبب ثقلها وذلك في أوقات غير محددة تمامًا. وقد تنحرف عن مسارها بدرجة بسيطة تمكن من ملاحظة أن تغيرًا قد حدث في حركتها. ولولا خاصية الانحراف هذه لسقطت جميع الذرات إلى أسفل في خطوط مستقيمة مثل قطرات المطر. ولولا ذلك أيضًا لما حدث تصادم الذرات أو اندماجها. ولم يكن ليحدث أبدًا.

ولو آمن شخص بأن الأجسام الأثقل، خلال هبوطها بسرعة عالية في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خط مستقيم قادرة أن تتحد مع أجسام أخف وزنًا، وهكذا تحدث تأثيرات تؤدي إلى حركة إبداعية، فهو مخطئ تمامًا. وقد ابتعد كثيرًا عن الطريق الصحيح. فالأشياء في سقوطها متجهة إلى أسفل في الماء أو في الهواء لابد لها -بالتأكيد- أن تزيد سرعة سقوطها حسب وزنها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

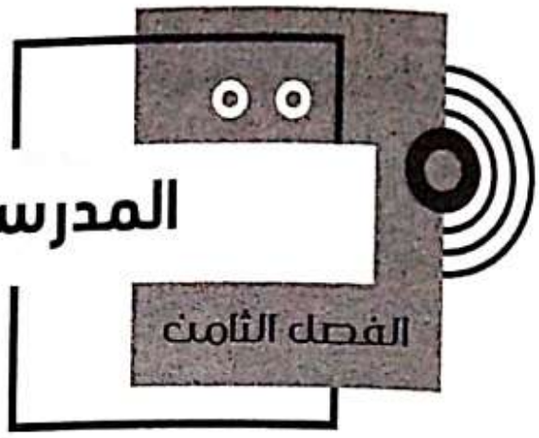

المدرسة الرواقية

الفصل الثامن

من بين المدارس الفلسفية التي ظهرت بعد أرسطو، ليس هناك من شك في أن المدرسة الرواقية أكثرها تأثيرًا. وهناك من يبالغ في الوصف ويقول إن الفلسفة في تلك الفترة لم تكن إلا في المدرسة الرواقية. وأن كل ما سواها أعمال ثانوية. وما نلاحظه عند استعراض ثلاثة قرون هو أن مدرسة أرسطو فقدت كل الاهتمام بها وأصبحت مدرسة أفلاطون لمدة قرن ونصف متطفلة على فلسفة الرواق. بمعنى أن عملها الأهم كان محاربة المذهب الرواقي. أما مدرسة أبيقور فقد استمرت بلا تغيير يذكر، لكنها لم تجذب سوى أعداد قليلة من الأتباع.

أما الرواقيون فقد كان لهم الغلبة في النهاية على مذهب الشك وإن لم تتمكن المدرسة من تحقيق ذلك في مجال الجدل. كما أن الرواقيون أخذوا ما يناسبهم من الأفلاطونية المجددة. وهكذا تشكل المذهب الرواقي المعدل أو (الانتقائي) وكان هو المذهب الفلسفي المميز للإمبراطورية الرومانية الأولى.

كانت المدرسة الرواقية طوال حياتها هيئة تقوم على مبدأ فلسفي، وكان عدد من أتباعها من المشاهير لفترة طويلة. كما عاصرت تلك المدرسة أحداثًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جسامًا. وكل هذا يدل على أنها مدرسة استطاعت تحقيق المطالب البشرية الدائمة.

ومن الواضح أن أحد رواد تلك المدرسة وهو «زينو السيتومي» (334-162 ق.م.) اعتمد بشدة على قدرته على التعبير وشخصيته القوية. وفي كل قسم من أقسام تلك المدرسة الثلاثة (المنطقي - الفيزيائي - الأخلاقي) هناك إثباتات قوية أكثر من الجدل.

أما رد الفلسفة الرواقية على دعاة الشك، فقد كان الاثبات الواضح أن في بعض الحالات يكون الشك غير ذي قيمة. فالعقل البشري في الأساس مثل لوح أبيض. ثم يسجل عليه كل الانطباعات والمعارف بدرجات وضوح مختلفة. ومن هذه المعارف ما له من القوة التي يمكن أن تمسك بنا تدفعنا إلى تقبلها. وقد قيل إن زينو صور تلك السيطرة بما يشبه قبضة اليد.

أما الفيزياء عند الرواقيين فقد كانت تنادي بوحدة الكون. فهناك جوهر واحد فقط وطبيعة واحدة وهما أساس جميع الظواهر أيًا كانت. إلا أن أنها (الفيزياء) كانت عقلانية أيضًا. ولذلك فإن كل ما هو موجود مادي ومن المسلم به أن كل ما يحدث يوجهه غرض العقل. أما أغرب تلك المبادئ الفيزيائية؛ فهو الاعتقاد بأن الكون كله جاء من «النار المقدسة». وكان من المفروض -بعد دورة طويلة جدًا- أن يفنى الكون ثم تتكرر دورات مماثلة إلى ما لا نهاية[1].

---

(1) - انشغل قدامى الفلاسفة ومحدثيهم بمسائل مثل خلق الكون ونفس الإنسان والموت والحياة وحياة الآخرة وغيرها. وقد أعزنا الله بالإسلام وبالقرآن الكريم الذي هو شفاء للصدور؛ ففيه إجابات وافية لكل من يبحث عن دين الحق أو يسأل عن تلك الموضوعات. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخلاق

أما عن الأخلاق التي كانت أهم ما تتناوله المدرسة الرواقية فقد كان هدفها الأول هو العيش في سلام. والجميع في سلام ما داموا متفقين على ذلك وإن كان الجميع لديه ما يريد. ومن يحتاج إلى شيء يحصل عليه بطريقة من اثنتين: إما أن يحاول الحصول عليه أو نسعى في طلبه. وكان الرواقيون يتبعون الطريقة الثانية. كما اعتقدوا أن الفضيلة أو الرذيلة تتوقفان على ما في إرادة الإنسان من الميل إلى الصواب أو إلى الخطأ. ولكن الإرادة كانت -كما يفترض- تحت سيطرة الفرد وبدون أي تغيير. وبناء على ذلك فإن القول بأن تحقيق الخير الحقيقي لا يدخل في نطاق سيطرة الإنسان المطلقة، فينظر إليه نظرة لامبالاة مثل الألم والبهجة.

وهكذا تبدو لنا تلك المبادئ الأخلاقية غير مقنعة في أمرين:

أولاً:

إن المبدأ الأخلاقي ينكر أن هناك مؤثرات خارجية يمكن أن تكون «خيرة» فقط أو «سيئة» فقط. وذلك لأنها ليست تحت السيطرة التامة لإرادة الإنسان. كما أنه لم يستخدم فكرة أن الخير والشر كنتيجة منطقية لتجربة بل كبديهية يقينية موثوقة أكثر من التجربة.

ثانيًا:

يبدو من مجرد تقبل ما يحدث أنه ليس هناك دافع للفعل، كما لو كان الشرط الرواقي المطلوب لتبلد الشعور هو اللامبالاة.

وفي الحقيقة لا يمكن الرد على أول هذين الاعتراضين، فمن يتمسك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالقول إن الألم شر كان الرواقي يواجهه بقوله إنه لن يشعر بأي قلق لو تعامل مع الألم بلا اكتراث أو أهمله تمامًا. وقد كان ذلك ردًا مناسبًا للعديد من الناس الذين يرون أن راحة البال أمر مطلوب. لكنه رد غير مقنع بطريقة منطقية.

أما النقطة الثانية؛ فقد اهتم بها الرواقيون جدًا. وكانوا يرون أن الإنسان العاقل لا يرغب في شيء إلا إن كان مناسبًا لإرادته. ومع ذلك سيختار الإنسان فعل ما يتمشى مع الطبيعة، وهذا معناه أمرين:

الأول:

أن الإنسان سيسعى إلى تبرير مقبول لتحقيق ما عنده من غرائز إنسانية طبيعية بسيطة.

الثاني:

يتمسك الرواقيون بأن الجنس البشري أسرة واحدة، لذلك فكل منا يسعى لخدمة إخوانه. ولكل إنسان دوره الذي يقوم به في مسرحية الوجود.

وهذا السرد الموجز قد يوضح أسباب عظمة المذهب الرواقي التي يمكن أن نجملها فيما يلي:

أولاً:

قال المذهب الرواقي أن الأمل في هدوء النفس الداخلي قد يكون أوضح الطرق إلى أمن تام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا:

لا يقبل المذهب الرواقي سياسة الاستسلام الضعيف، بل يرى وجوب تطويع الطبيعة المحيطة بالإنسان لما هو مناسب لحياة البشر. وحياة الرواقي كانت شبه خالية من الاضطرابات ولكنها كانت حياة نشطة.

ثالثًا:

الفكرة الرواقية بأن الجنس البشري أسرة واحدة (المواطن العالمي) فكرة صادقة. وقد طبق الاسكندر الأكبر هذه الفكرة في حكم امبراطوريته المترامية الأطراف متعددة الأعراق.

مشكلة كبرى

إلا أن هناك مشكلة «نظرية» كبيرة، قد تكون واضحة نسبيًا إلا أنها لم تلق الكثير من الاهتمام حتى من الرواقيين أنفسهم. وهي ذلك التنافر الكبير بين منهجيهما الأساسيين لتحقيق تبلد الشعور. فالخوف والأمل والقلق مشاعر حمقاء لا يوجد ما يبررها. لأنها قائمة على فكرة خاطئة وهي أن الأحداث يمكن أو كان من الممكن أن تكون مختلفة عما هي عليه، أو ما كانت عليه أو ما ستكون عليه. وليس أمام من يتحلى بالحكمة إلا أن يستسلم لما يحدث دون تدخل فيه. ومن ناحية أخرى أصر الرواقيون -بنفس الحماس الذي دعموا به الفكرة السابقة- على أن للفرد إرادة حرة مطلقة.

وفي القرن الذي مات فيه زينو، أدخل الرواقيون تعديلات على مبادئهم. وكان أهم المؤثرين الرواقيين في تلك الفترة هو «بانيتيوس الرودسي[1]»

---

(1) - (185-110 ق. م.). (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بانيتيوس الرودسي

وهو ذلك الفيلسوف الذي نقل الأفكار الرواقية إلى بلاد الرومان، وهناك انتشرت تلك الأفكار بشدة وازدهرت المدرسة الرواقية. وكانت التعديلات التي أدخلها بانيتيوس على مبادئ الرواقيين ذات فائدة كبرى. فقد تخلصت الرواقية الرومانية -في بدايتها على الأقل- مما يلي:

- تصديق ما لا يجب أن تصدقه.
- ما هو أهم أن بانيتيوس تخلى عن مبدأ الاحتراق الكوني المتكرر.
- عدل بانيتيوس كثيرًا في المفهوم الرواقي عن الحكيم.
- ركز اهتمام المذهب الرواقي في الأخلاق على فضائل التعاون بدلاً من التركيز على الجمود الذاتي وتحقيق الراحة الناتجة عن التبلد.

إلا أنه أبقى على الرأي القائل بأن البشر أسرة واحدة. كما اهتم بالتوفيق بين الآراء بدلاً من فحصها نقديًا. وكان تأثير هذا المنهج المعدل على عصره كبيرًا وواضحًا.

بانيتيوس الرودسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبكتيتوس[1]

كان أبكتيتوس الرواقي الذي دامت أعماله طويلاً إغريقي المولد، وقد عاش كعبد لفترة طويلة في روما. ثم أصبح حرًا بعد ذلك. وعلى الرغم من أنه ولد في منتصف القرن الأول الميلادي؛ إلا أنه كان أكثر تأييدًا للتراث الرواقي القديم. وقد درس أبكتيتوس أعمال سابقيه من الفلاسفة دراسة وافية. لكنه عجز عن أن يرى -كما يبدو- ذلك التشابه بين الطريقة الأبيقورية والطريقة الرواقية في الحياة. وكان يتحدث دائمًا عن أبيقور على أنه من نوع يركز على اشباع الرغبات الذاتية (عابد اللذة المستهتر). وقد كان ذلك هو الرأي العام فيه. وكان من الواضح أن الخاصية الروحية لروما كانت تتحالف مع الرواقية. وبالرغم من أن أبيقور كان له أتباع مشهورون في روما؛ إلا أن المبدأ الرواقي كان أكثر شهرة وتأثيرًا.

(1) - (55-125م). (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماركوس أوريلوس[1]

ماركوس أوريلوس واحد من أشهر الفلاسفة القدامى وأكثرهم إثارة للإعجاب. وهو يتميز بأنه جمع بين الفلسفة والحكم معًا فقد كان إمبراطور روما في وقت كانت فيه في قمة ازدهارها. ويقال عنه أنه كان يتنازل ويعطي دروسًا في الفلسفة بطريقة شعبية لا تتناسب مع مكانته. وكان قاسيًا على نفسه متجاوزًا لنقائص غيره، ويعاب عليه أنه عين ابنه «كومودوس» خليفة له، وهو حدث اعتبره البعض عمل تخريبي وإن كان يمكن أن يغفر له.

وكان ماركوس أوريلوس أحد المعجبين بـ«أبكتيتوس». وكان في بدايته يحب دراسة القانون والبلاغة إلا أنه تخلى عن ذلك فيما بعد مفضلاً عليها دراسة الفلسفة. كما تخلى عن دراسة تهذيب أسلوبه في اللغة اللاتينية من دراسة لغة إغريقية بسيطة وسهلة.

(1) - (121-180م) (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم تكن فترة حكم ماركوس أوريلوس خالية من الأحداث الجسام، طاعون فتاك في عام 166م وغارة للبرابرة على إيطاليا في نفس العام تمكن من صدها. كما أنه قضى السنوات العشر الأخيرة من حكمه في معارك كثيرة على الحدود الشمالية، ومات هناك ولم يكن قد بلغ الستين من العمر.

لم يكن مذهبه الرواقي تقليديًا وكتاباته توحي بأنه كان أكثر تقشفًا مما يجب أن يكون الرواقي عليه. وكان الرواقيون يعتبرون مظاهر الترف لا قيمة لها، لكن ماركوس أوريلوس كان يزيد على ذلك ويعتبرها كريهة ومنفرة. ومن كتابه الأول «تأملات» نذكر ما يلي من المقتطفات[1]:

1 - في صباح كل يوم، توقع أن تقابل من هو فضولي أو ناكر للجميل أو خائن أو حاقد أو به غير ذلك من الرذائل. قل لنفسك: كيف يمكن لأي منهم أن يضرني؟ فلا يمكن أن يصدر منى ما يشين غصبًا عني.

إننا جميعًا كأعضاء الجسم الواحد. ولذلك فإن خالف أحدنا هذا الأمر وعمل ما يضر الآخرين. فإنه عمل مناف للطبيعة.

2 - ما أسميه نفسي هو مركب من لحم ونفس وعقل. والإنسان في صراع مع الموت. لذلك عليك باحتقار الجسد؛ فهو دماء ولحم وشبكة عصبية دقيقة متداخلة. ثم فكر في التنفس، إنه قليل من الهواء يدخل ثم يخرج ثم نعيد استنشاقه من جديد.

3 - فكر كم تأخرت في إنجاز الأعمال؛ وكم عدد الأيام التي قدمتها لك السماء وتكاسلت فيها. اليوم هو ذلك الوقت الذي تتعلم فيه طبيعة الكون الذي أنت جزء منه.

---

(1) - في الترجمة الإنجليزية التي نقلت عنها الكثير من المقتطفات التي أوردها ورنر؛ لكني اكتفيت في هذه الترجمة بذكر أهم 10 مقتطفات فقط. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

4 - اهتم دائمًا بالعمل الجاد وأعمل ما يجب عليك أن تفعله بصورة تليق بك كإنسان روماني. افعل ما يجب عليك بعناية وفي حرية تامة وعدل تام.

5 - يا نفس ... تذللي ... تذللي. مضى وقت تمجيد الذات. وليس للإنسان سوى حياة واحدة. وقد أوشكت أن أقضيها على خير.

6 - ليكن كل فعل تفعله وكل كلمة تنطقها وكل تفكير تفكر فيه محكومًا بفكرة أنك من الممكن أن تغادر هذه الحياة في أي وقت.

7 - الله موجود وهو يدبر كل أمورنا؛ وهو وضعها كلها في مقدرات البشر.

8 - سرعان ما يشمل التغيير كل شيء في الحياة، وتفنى أجسادنا في هذا الكون، وفي وقت محدد تفنى الذاكرة.

9 - ليس هناك من مخلوق أتعس من الإنسان؛ فهو دائم السعي من أجل معرفة ما يدور بداخل إنسان آخر، وأعمى عن رؤية آيات الله في نفسه وعن تكريس ذاته للوفاء بالعبادة الحقة. كما أن هناك من العمى ما هو أسوأ من ذلك؛ إنه العمى الذي يجعل من الظلام نورًا ومن النور ظلامًا.

10 - قد تحتقر نفس الإنسان ذاتها بأساليب متعددة لكن أكثر تلك الأساليب سوءًا ذلك الذي ينحط ويصبح مثل ورم غريب الشكل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدرستان صغيرتان

الفصل التاسع

1 - المدرسة الكلبية[1]:

لم يكن أفلاطون هو الفيلسوف الوحيد الذي يعتبر نفسه وريث سقراط. فقد ادعى ذلك أيضًا «أنتيسثينيز» وكان أكبر سنًا من أفلاطون بسنوات قليلة. وهو سفسطائي كان يقيم في أثينا قبل أن يلتقي بسقراط. إلا أنه أصبح بعد ذلك تلميذ سقراط الغيور عليه. أما ذلك المظهر الذي جعله معجبًا بسقراط بشدة والذي ترك بصمته على مدرسة أنتيسثينيز الكلبية؛ فهو قوة واستقلال شخصية سقراط الأخلاقية. وكان الكلبين يستخفون بكل تعليم أو تهذيب أو خضارة بخلاف ذلك. وقد أعدوا أنفسهم لتجاهل التقاليد والعادات المألوفة والسخرية منها. وقد أرادوا التخلي عنها باعتبارها أمور دنيوية ثانوية لا لزوم لها. كما تخلوا عن أي مناصب وحتى عن الحرية بمعناها المألوف. وهم يرون إمكانية تحمل العبودية بهدوء تام، كما يمكن ترك الحرية مطلقة لعبد ليحافظ على فضيلته.

---

(1) - ذهب فلسفي أسسه في القرن الرابع قبل الميلاد أنتيسثينيز. وكانت نقطة البداية لهذا الفيلسوف هي مذهب معلمه، الذي يرى الفضيلة -وليس المتعة- الهدف الأساسي للحياة، وأنها تمثل السعادة الحقيقية. وتشير بعض المراجع إلى أن الاسم «كلبي» نسبة إلى سينوسارگس، وهو اسم لصالة تريض خارج أثينا، التقى فيها الكلبيون لأول مرة. وتشير مراجع أخرى إلى أن الاسم مستمدُ من الكلمة اليونانية (تـكينِك) التي تعني كلب. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

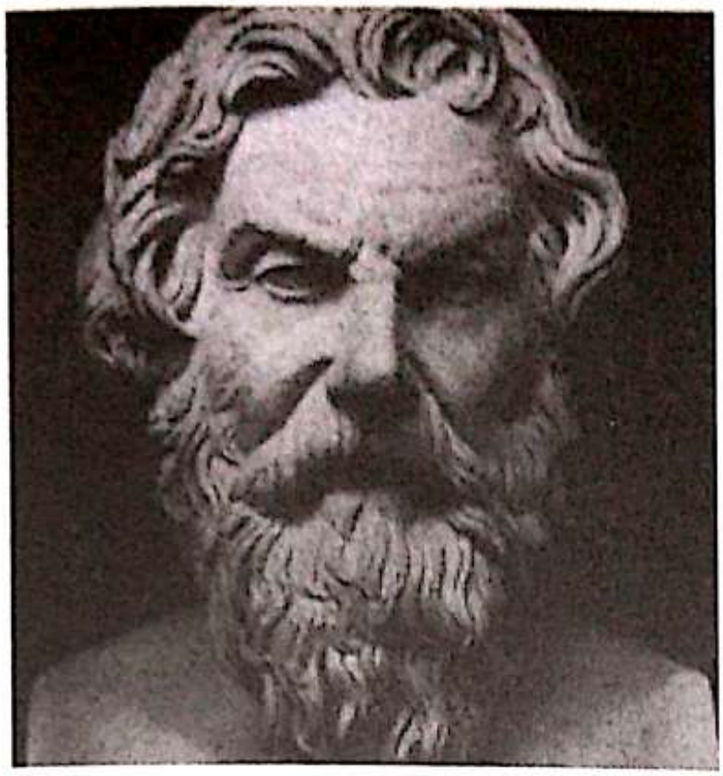

انتيستينيز

ولأول وهلة يبدو أن الكلبيين جذبتهم روح تبشيرية فعالة، وربما لم يحدث ذلك لجماعة أخرى غيرها. فبدلاً من إجراء محاوراتهم في عزلة أكاديمية، أصبحوا متسولين متجولين يعظون الناس ويحذرونهم مما في العالم من خداع وفساد. وقد دعوا الناس إلى حياة الطبيعة البسيطة التي يجب أن يكون الكل فيها سواسية ويكون البشر جميعًا أسرة واحدة. ومن الواضح هنا وجود بعض ملامح المذهب الرواقي. لكن -في الواقع- في الوقت الذي تقدمت فيه الرواقية كان الكلبيون في مرحلة فتور. وبعد فترة الفتور تحول الكلبيون إلى المناداة بالتأقلم مع صور وتقاليد الحياة بعد أن كانوا رافضين لها.

وفي الوقت الذي أصر فيه الكلبيون على تفاهة صور الحياة وتقاليدها؛ كانوا ينادون بأخوة البشر ويستخفون بالتعليم وكانوا على استعداد للقبول (غير الملزم) بكل ما يمكن أن تهبه الطبيعة. وعلى سبيل المثال: الثروة لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قيمة لها؛ لكن إن أصبح الإنسان ثريًا فعليه أن يقوم بدور الثري بجدارة. ولأن هذا المبدأ ليس له أي أساس نظري معتمد يقوم عليه، كانت الكتابات المتأخرة للكلبيين تميل إلى أن تكون أقل إثارة للجدل. وكانت تلك الكتابات تمزج النصح بالسخرية.

2 - مدرسة الشك:

كان من المؤكد والمقبول والمتوقع أن لكل اتجاه فلسفي منذ بداية الفلسفة الإغريقية اتجاه مضاد يتقصى الحقائق ويشكك في مبادئ ومعتقدات ذلك الاتجاه. ومن بين الفلاسفة السابقين لسقراط عبر أكزينوفانيس وأمبدوكليز عن شعور بالاكتئاب بسبب ما يسود الساحة من مبادئ متصارعة وكل منها يتعذر عليه إيجاد حجج دامغة تؤكد وجهة نظره. ولا شك أنه كان هناك كثير ممن استمعوا للفلاسفة في صمت؛ وأنصتوا إليهم رغم ما يشعرون به من تحفظات على ما يقولون.

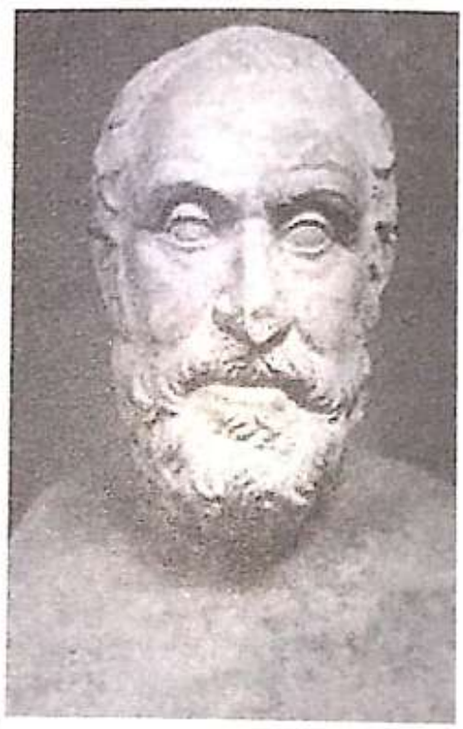

بيرو الأليسي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن، وبعد مرور الزمن أصبح الشك مذهبًا وكان مؤسس هذا المذهب هو بيرو الأليسي الذي مات في عام 275 ق.م. وهو في التسعين من العمر. وكان قد رافق الاسكندر الأكبر في غزو الهند. وهناك فيلسوف شكاك آخر وهو أنكساجوراس وكان مفسرًا لنظريات ديموقريطس. ويحتمل أن يكون بيرو قد نقل عنه أول ما حفزه للاندفاع نحو الشك والتقصي بوجه عام.

أما مذهب الشك كفلسفة فقد شارك جميع المذاهب التي ظهرت بعد أرسطو. وذلك لأن هدفه عملي ومباشر. وقد نال مدحًا -مثل باقي المذاهب- لأنه مسيلة للانعزال عن الناس وما يتبع ذلك من راحة البال، ومن ثم تتحقق تلك السعادة التي يمكن توقعها في عالم من الخطر. وطبقًا لما ذكره أحد تلاميذ بيرو، فإن طبيعة الأشياء غير معروفة تمامًا. وإن كان الأمر كذلك؛ فإن الرد الوحيد الملائم على أي تساؤل هو التحفظ في الحكم. فبدلاً من الانزعاج بأسئلة عن الحير والشر؛ يجب على الإنسان أن يشغل نفسه بالرضا بالقانون والتقاليد المتبعة.

وقد كان من المفترض بوجه عام في تلك الفترة أن المعرفة تكتسب من خلال الجدل الاستدلالي الذي يجب أن يبدأ من المقدمات المنطقية التي يفترض أنها معروفة، ويفترض أيضًا أنه تم التوصل إليها عن طريق الجدل، حتى يمكن في النهاية الوصول إلى قرار. فإن لم تكن المقدمات المنطقية معروفة ومثبتة؛ فلا يمكن الاستدلال منها على شيء. وقد نسمح لأنفسنا أحيانًا أن نصدر حكمًا على الاحتمالات، ولكن الوصول إلى المعرفة لا يعتمد على ذلك، ولن يعدل عنه فقط بل سيعتبره بلا جدوى.

ويبدو أن تيمون الأثيني قد عاش سنوات حياته الأخيرة في أثينا، وفي تلك الفترة كان من الواضح أن مبادئ بيرو كانت هي المذهب الرسمي في أكاديمية أفلاطون. وكانت مهمتها الأولى هي مواجهة المذهب الرواقي. وكان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رئيسها «أركسيلاوس البيتاني» متمسكًا بمبادئه ومصرًا على تلك المواجهة.

ومن أشهر رؤساء تلك الأكاديمية المتأخرين والذي يعتبر من أتباع مذهب الشك أيضًا كان «كارنياديس» وكان خطيبًا بارعًا وصاحب صوت قوي. وكان على استعداد للجدال بحماس في أي من اتجاهي الخلاف بنفس القوة، مما أثار دهشة كثيرين ولومهم له.

أما أشهر من اتبع مذهب الشك من المتأخرين، فهو «لوسيان الساموساتي» الذي أوضح في بعض محاوراته كيف أن شكاكًا يمكن أن ينتصر على طالب رواقي بسهولة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفلسفة الإغريقية في ظل الإمبراطورية الرومانية

الفصل العاشر

من حسن حظ بلاد الإغريق، بل ومن حسن حظ الحضارة الأوربية كاملة، أن غزاة بلاد الإغريق لم يكونوا من المخربين. وأيًا كان ما أسفر عنه الغزو الفارسي لبلاد الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد لم يؤد إلى تخريب ثقافة القرن السابق له بشكل مخيف. كما أن هزيمة مقدونيا لبلاد الإغريق ربما لم تلحق ضررًا بصورة مباشرة بالأدب الإغريقي أو الإنجاز الفلسفي حيث انتعشت المدارس الفلسفية في أثينا بشكل خاص. وكانت الريادة لكل من أبيقور وزينو. وذلك لأنهما قد يبدوان محدودين في اهتماماتهما الثقافية؛ يكادا أن يكونا انهزاميين في موقفهما من الحياة بصفة عامة. ولا يمكن مقارنتهما مع أفلاطون وأرسطو الذين كانا أكثر نشاطًا وحيوية في التفكير.

الغزو الأهم ... يحافظ على الثقافة العريقة

ولكن في ظل الظروف المتغيرة في ذلك العصر، ظلت مدارسهما أكثر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نشاطًا من الأكاديمية الأفلاطونية المتأخرة أو مشائيي مدرسة أرسطوطاليس. وقد قام الرومان بالغزو الأهم؛ إلا أنهم كانوا أكثر تحضرًا وحريصين على الحفاظ على الثقافة العريقة التي وضعها الإغريق.

تغيرات غريبة

إلا أن تاريخ المدارس الفلسفية في فترة الحكم الروماني تاريخ غريب نوعًا ما. فقد ظلت تقاليد زينو وأبيقور متنافسة لعدة قرون. وكانت لهما الريادة دون غيرهما. أما الرواقية التي أصبحت بلا شك فلسفة مميزة للإمبراطورية الرومانية، فيبدو أنها تأخرت كثيرًا عن الأبيقورية في العصر الجمهوري. وقد كتب شيشرون[1] في الأيام الأخيرة للجمهورية ما يعطي انطباعًا بأن الأبيقورية هي المذهب الوحيد واسع الانتشار رغم أنه لم يكن منافسًا خطيرًا في واقع الأمر.

انطلاق الرواقيون

يبدو أن الرواقيين كانوا أقل مهارة في جذب التأييد والشعبية. كما قد يكون صحيحًا لأن الظروف السائدة -في ذلك الوقت- هي المناخ المناسب فعلاً لازدهار الأبيقورية. وقد كان القرن الأخير للجمهورية بصفة عامة فترة عنف واضطرابات لا تنقطع. وكانت السياسة الداخلية لروما سيئة وكانت إمبراطوريتها في خطر داهم. وكان أصحاب الثروات لا يأمنون عليها. وكانت حياة الشارع في روما متوترة.

---

(1) - كاتب روماني وخطيب روما المميز، ولد سنة 106 ق.م، صاحب إنتاج ضخم يعتبر نموذجًا مرجعيًا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي وصلنا جانبًا كبيرًا منه، وقد أثارت شخصية شيشرون الكثير من الجدل وخاصة في الجانب السياسي من حياته، فهو تارة مثقف ضائع في وسط سي»، وتارة أخرى ثري إيطالي صاعد في روما، وثالثة انتهازي متقلب و«أداة طيعة في يد الملكية» و«متملق ليومبي ثم سيزار» بحسب ثيودور مومسين وجيروم كاركوبينو، ولكنه أيضا الجسر الذي عبره وصلنا جانب من الفلسفة اليونانية. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي مثل هذه الظروف فإن مبدأ الاعتدال الذي نادى به أبيقور وما يتطلبه من ابتعاد تام عن الأهواء الشخصية ربما وجد رد فعل طيب لدى كثيرين. وفي الحقيقة؛ وجد هذا المبدأ طريقه للبقاء في ظروف مماثلة تمامًا. وقد كان الرواقيون على النقيض من ذلك تمامًا. وربما كان سبب ذلك أن الرواقية بدت غير جذابة لكثير من الناس. وهذا لا يعني أن كثيرًا من أصحاب الأعمال الناجحين كانوا أبيقوريين.

تغير سريع

إلا أن تغيرًا سريعًا حدث، هو أنه بعد هزيمة أنطونيوس في أكتيوم[1] عام 31 ق.م. أشاعت حكومة الإمبراطور أوغسطس حالة من الاستقرار والنظام النسبيين لم تشهدهما المنطقة منذ عشرات السنين. وأصبح أسلوب الحياة الرومانية أقوى رغم القيود الجديدة. وبدأت دعاية رسمية للاستقامة أخلاقية والدينية أو بمعنى أصح استقامة ذاتية صارمة. لكن لا يمكننا أن ننكر أن ذلك الميل الحاد للتهذيب الذي فاق كل الحدود، كان يمثل تدهورًا شديدًا في الفلسفة بصفة عامة.

الرواقيون يتصدرون المشهد

وبالرغم من أن الرواقيين كانوا مازالوا يتمتعون بشعبية جيدة. وكانت شعبيتهم تزيد لعدة سنوات لدرجة كانت أن تنهي الصراع الفكري. ولم يكن هناك إحساس بأن المذاهب الفلسفية موضوعات محل نزاع. حيث انتقل الاهتمام بدلاً من ذلك إلى شخصية الفيلسوف. ومما يجدر ملاحظته أيضًا أن ذلك الاتجاه كان معاديًا للأدب والثقافة بصفة عامة. حيث كان الرواقي الحق

(1) - معركة أكتيوم كانت معركة حاسمة في آخر حروب الجمهورية الرومانية. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرى أن كل ما لم يكن من الفضائل فهو تافه ولا يستحق الاهتمام. ولعلنا نذكر أن ماركوس أوريلوس أحس بأن هذا التكريس الداخلي للفلسفة يعني التخلي التام عن تلك الفنون والاهتمامات الأدبية التي تعلمها.

وعندما مات ماركوس أوريلوس الإمبراطور الفيلسوف تدهورت الريادة الرواقية بسرعة، ولعل ذلك التدهور ما هو إلا جزء من التدهور العام في كل ظروف الحياة. وأصبحت الإمبراطورية منذ ذلك الوقت في خطر دائم بسبب حشود تحيط بها. وهكذا بدأت فترة من التشاحن والمشكلات الأخلاقية والدينية مع بداية التقويم الميلادي. وقد جاءت المسيحية ولم تعتبر عبادة الآلهة المتعددة كفرًا فقط؛ بل اعتبرت تلك الآلهة شياطين. لكن وفي نفس الوقت بدأت خرافة كبرى تحل محل (ملكة العلوم) وهي التنجيم.

وإن كان هذا هو الحال؛ فلم يكن مثيرًا للدهشة أن يتحول اهتمام التطوير التالي في الفلسفة الإغريقية إلى التصوف وأمور حياة الآخرة. وذلك على اعتبار أن هذا الاتجاه يمكن أن يواجه مادية الرواقيين الموجهة أخلاقيًا ووقار أبيقور القائم على أسس علمية. وقد اتخذ هذا التطور -ظاهريًا- صورة العودة إلى أفلاطون.

Telegram:@mbooks90

كان هذا التطوير يعتبر فعلاً عودة إلى أفلاطون وليس إلى اكاديميته التي -كما ذكرنا- كانت قد أصبحت بعد وفاته مركزًا لمذهب الشك. وقد كتب أبوليوس المادوري قرب نهاية القرن الميلادي الأول كتابًا عن «أفلاطون وعقائده» لكنه كان -في هذا الكتاب- خطيبًا أكثر منه فيلسوفًا.

وفي القرن الميلادي الثاني حاول أتيكوس انقاذ المدرسة الأفلاطونية من الاسراف في الانتقائية. إلا أن أفلوطين كان أعظم شخصية في الحركة الأفلاطونية الحديثة. وهو لم يعتبر نفسه من أتباع الأكاديمية على أي حال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان استاذه من الإسكندرية وهو «أمونيوس سكاس» وهو فيلسوف يبدو أنه علم نفسه بنفسه. وقد اعترف في مؤلفاته أنه كان مدينًا للفيثاغورثيين المحدثين الذين كان علم الأعداد الفردية عندهم يمثل تطويرًا لذلك المظهر من المظاهر الفيثاغورثية الذي أثر على أفلاطون نفسه. ويبدو أنهم كانوا يعتبرون أفلاطون شخصية مقدسة. وهي منزلة كان يشاركه فيها -في رأيهم- أرقام محددة أيضًا، مثل: واحد وثلاثة وعشرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفلوطين[1]

ولد أفلوطين في عام 204 أو 205م في مصر. وربما يكون قد ولد في لايكوبوليس[2]. وإن كان هذا أمرًا غير مؤكد. وقد درس في الإسكندرية؛ ويبدو أنه استمع فيها إلى محاضرات فلسفية عديدة. لكنه وهو في الثامنة والعشرين من العمر التقي بـ«أمونيوس سكاس». لكن أمونيوس لم يكتب شيئًا ولذلك فمضمون تعاليمه غير معروف تمامًا؛ لكن أفلوطين أصبح تلميذه المتحمس له بشدة. وقد ظل يتلقى العلم على يديه لمدة 10 سنوات. وبعدها عمل في مشروع التعرف على فلسفة الشرق فرافق حملة الأمبراطور «جورديان» إلى بلاط الفرس. لكن في عام 244م اغتيل الإمبراطور الشاب. فبدأ أفلوطين طريق العودة إلى روما؛ بعد أن واجه الكثير من الصعوبات.

في روما

وفي روما عاش أفلوطين بقية حياته وعمل بالتدريس، وسرعان ما حقق شهرة واسعة. وكان له مكانة خاصة عند الإمبراطور «جالينوس» الذي قال عنه «جيبون» أنه أفسح المجال أمام الفلسفة واتجاهات

---

(1) - أفلوطين (205-270م) فيلسوف يوناني، يُعتبر أبرز ممثلي الأفلاطونية المُحْدَثَة. يُعرف في المصادر العربية بـ «الشيخ اليوناني». وقد وصلتنا جميع المعلومات المتوفرة عن أفلوطين من أحد تلاميذه. أما كتابات أفلوطين في الميتافيزيقا فكان لها تأثيرًا كبيرًا على العديد من الفلسفات. (المترجم)

(2) - يقال إن مكانها قرية تابعة لأسيوط في مصر الآن. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى بأن يكون لها دورًا في تصريف أمور الإمبراطورية. وفي عام 269م أو عام 270م مات أفلوطين.

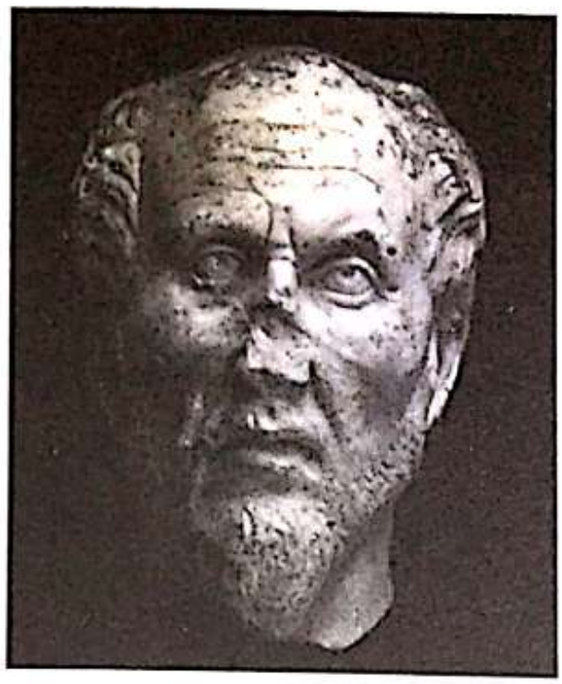

ومن الملاحظ أنه -بالرغم من أنه عاش في أكثر فترات الإمبراطورية الرومانية اضطرابًا وبؤسًا- إلا أن فلسفته لا علاقة لها بالموضوعات السياسية والاجتماعية والأخلاقية في عصره. ولم يكن يهتم سوى بعالم الآخرة ربما كرد سلبي على ظروف عالمه القاتم. لكن أفلوطين لم يكن استثناء في تلك الفترة، فقد كان الهروب من العالم مظهرًا مميزًا للقرن الذي عاش فيه.

فلسفته

وأنا أعتقد أن فلسفة أفلوطين لم تكن قادرة على التعبير الصادق. حيث تميل في بعض النقاط الحاسمة إلى أن تذوب في التصوف. ومع ذلك فقد يكون من الممكن نقل بعض أفكاره وآرائه الرائدة. إلا أن تلك الآراء تظل غامضة إلى حد ما.

وأفلوطين مثل الفيثاغورثيين، يحترم الرقم 3 بشدة. وقد استخدمه في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عدة أشياء مثل: الفوارق الثلاثية التي يمكن تمييزها بصورة خاصة في الإنسان من حيث الجسد والروح والنفس. كما يميز العالم أجمع كما تدركه الحواس قياسًا على ذلك. وطبقت فلسفته ذلك التناول الثلاثي على النظام الفضائي والعالم الدنيوي والعالم الروحي.

موقفه من الرواقيين الأبيقوريين .. وتأثره بالميتافيزيقا

كان أفلوطين معاديًا للرواقيين والأبيقوريين، إذ أنه كان معاديًا للمادية بشدة. وهنا كان موقفه يكتنفه تناقض واضح، فهو كان يرى أن المادة -وهي جسم الكائن البشري- شر أو سبب للشر. ثم نراه في قول آخر يرى أن المادة وهم واضح. وفي الحقيقة، فإن أفلوطين -مثل كثير من الميتافيزيقيين- يستخدم فكرة الواقع استخدامًا غريبًا جدًا. فهو على استعداد لأن يقول إن المادة مجرد لا واقع؛ لكنه لا يقصد إنكار أنها موجودة واقعيًا. وهو في هذا يسير على درب أفلاطون الذي قال بأن الصور وحدها واقعية، في حين أنه لم ينكر وجود الأجسام العادية. وهكذا يصبح اللاواقع بهذه الطريقة كلمة تحمل معنى الاستنكار، ولا تحمل معنى اللاوجود.

المادة ... والعالم

ويبدو أن جانبًا من رفض أفلوطين للمادة هو أنها إذا ما نظر إليها نظرة تجريد، فهي لا صورة لها وليست محددة. إنها شيء يمكن أن يكون هذا أو ذاك؛ لكنها في ذاتها ليست محددة. والعالم بما فيه من أشياء وحوادث تسير طبقًا لنظام فضائي ودنيوي أسمى من المادة في كثير من جوانبه. ولكن أفلوطين يحكم على ذلك العالم بأنه ليس أكثر من مظهر؛ وهو شبيه غير كامل للعالم الروحي الواقعي. وفي سيره على نهج أفلاطون نراه يعتبر عدم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كمال هذا العالم يؤدي إلى عدم كمال معارفنا. وهو يشارك أفلاطون الرأي القائل «إننا لا نستطيع أن نصل إلى أكثر من رأي.»

وهذا العالم كما يراه أفلوطين ثمرة الطبيعة التي تؤثر على المادة اللامحدودة. كما يعتبر الطبيعة قوة روحية واقعية؛ بالرغم من أنها أدنى قوة في ترتيب الموجودات الواقعية. وقد فسدت لأنها ارتبطت ارتباطًا ضروريًا بالمادة. وهو يتحدث عنها فيقول:

«لو كان لنا أن نبدأ في مناقشة جادة عن الطبيعة بقولنا إن كل الكائنات الحية العاقلة وغير العاقلة وكل الخضراوات والتربة التي تخرجها تتوق إلى التأمل. وبعضها يتمكن من تحقيق تلك الغاية أما البعض الآخر فلا يصل سوى إلى صورة مشابهة لها. فهل يقبل أي فرد مثل هذا القول المتناقض؟

ومن الواضح أن الطبيعة لا أقدام لها ولا أيدي لها، وليست لها أي أداة صناعية أو طبيعية. وهي تحتاج فقط إلى مادة تعمل بها وتعطيها صورة. وأعمال الطبيعة لا تكون نتيجة لأي عملية ميكانيكية. كما أن الصور المختلفة للأشياء لا تنشأ بسبب الدوافع. ولما كان العقل الحي شقيقًا للعقل الذي أنشأ الصورة المنظورة وله نفس الصورة لذلك العقل، فهو ينتج واحده في الكائن المخلوق.

الطبيعة تنتج

فكيف يمكن للطبيعة أن تنتج؟ وإن أنتجت فما هو ذلك التأمل الذي يمكنها أن تصل إليه. وما دامت تنتج وهي ذاتها قابلة للحركة، فلابد أنها هي ذاتها تتأمل. فكل فعل ينتج وفقًا لعقل ما ويختلف عنه في النتيجة. والعقل يساعد الفعل ويشرف عليه. وفي كل سلسلة من الاستدلال تنشأ في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنهاية حلقة من التأمل، أما بالنسبة للحلقة السابقة فقد لا تكون الطبيعة، بل النفس. أو قد تكون مرة أخرى في الطبيعة أو هي الطبيعة ذاتها.

هل يعتبر العقل مثل الطبيعة ناشئ عن التأمل؟ بكل تأكيد، لكن ألم يتأمل هو أيضًا في ذاته؟ لأنه نتيجة تأمل ومتأمل. كيف يتأمل ذاته؟ ليس له ذلك اللون من التأمل الذي ينجم عنه التفكير المشتت عند الإنسان. وكيف يمكن لمن له عقل وقدرة على الإنتاج ألا يتأمل ذاته؟»

إنكار أفلوطين لواقعية الفضاء والزمن

واستنادًا إلى ما نادى به أفلوطين من أن العالم الطبيعي مظهر فقط؛ فإنه ينكر واقعية الفضاء والزمن. إلا أنه في نفس الوقت يرى أن المظاهر الطبيعية المحيطة بنا تفعل ما تفعل بطبيعتها بالضرورة. ويكون المعروف للحواس هو فقط محاكاة للكون المقدس. وللمجيء إلى هذا الكون تتخلى النفس عن أبديتها وتتأقلم مع «الزمن» والطبيعة. وذلك بسبب رغبتها في أن تكون سيدة نفسها وأن تتولى التحكم في ذاتها. وبالرغم م ذلك يرى أفلوطين أنه من المستحيل إنكار الوجود فيما وراء (أو «أمام» كما يقول كثيرون) عالم الفضاء والزمن الذي ليس له امتداد فضائي ولا يخضع لعملية الزمن.

لكن هل هناك في رأي أفلوطين عالمان: واحد مدرك حسيًا والآخر مدرك فقط؟ هنا يصعب تجنب القول (نعم ولا). فهو كثير التحدث عن هنا وعن هناك كما لو كان يشير إلى مكانين محددين. كما أن كثيرًا من استعاراته تتضمن ثنائيات مماثلة. فمن المؤكد أنه واقعي ومن ناحية أخرى ينادي بأن عالم اللاواقع للإدارك ضروري للعالم الروحي «مستترًا». وعالم الإدراك ينتج عن العالم الروحي كما يصدر الضوء من مصدر ثابت لا يتغير ولا يتناقص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما من شك في أن العالم الروحي عند أفلوطين يحير من يود تقديم وصف دقيق له. فالمفردات التي نستخدمها في الوصف لها علاقة بالعالم الحسي؛ وهي لا تنطبق على العالم الروحي، وعليه فيجب علينا أن نتقبل متناقضات واضحة مثل: الروح المدركة لابد أن تكون واحدة واثنين وبسيطة ومركبة. وعلينا أيضًا أن نميز ما بين «الروح» وما تدركه هذه الروح في عالم الواقع.

الواحـد

وفي النهاية يسعى أفلوطين إلى أن يسمو حتى على العالم الروحي لأن ذلك العالم لا يزال معقدًا تعقيدًا لم يحسم، فهناك تمييز ما بين الروح وما تدركه. فلو كانا إثنين لوجب علينا أن نعرف ما هو سابق لهذه الثنائية. وما هو هذا الشيء؟ وهنا يجيب أفلوطين من بعيد كصدى صوت لأفلاطون الذي يرى أن ذاك الشيء الأخير الذي هو «فيما وراء الوجود» هو «الواحد».

وبصفة عامة يقول أفلوطين (بالرغم مما في كلامه من الغموض بسيط) كلامًا كثيرًا عن «الواحد» وهو كلام تكرر في كتابات لاهوتية مسيحية. وبالإضافة إلى ذلك آمن أفلوطين أنه -في حالات قليلة- يمكن بلوغ الاستبصار المباشر عن الواحد؛ وهو أمر وصل إليه هو نفسه ووصفه ببلاغة ولغة صوفية واضحة لا تتغير في كل زمان؛ يقول:

«إننا نسعى لمشاهدة الضوء الذي ينير. وذلك ممكن لأن في استطاعتنا رؤية الشمس بنور الشمس. فكيف يصل إلينا؟

ولا يجب أن نندهش من أن ما يثير أعنف الرغبات ليست له صورة واضحة. فعندما تتوق النفس لشيء وتحبه ترفض كل صورة له حتى تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة التي تنتمي إلى العالم الروحي، لأننا لا يمكن أن نراه ونتأقلم معه.»

وهكذا كانت فلسفة أفلوطين آخر الجهود العظيمة للتفوق الإغريقي. وقد جاءت بعدها فلسفات أقوى تأثيرًا. وهي تلك الكتابات التي قدمها بعض اللاهوتيين المسيحيين والتي كانت أهم مميزاتها الدقة الشديدة. أما عن أن تلك الفلسفة تدعو إلى ما يفوق الإدراك وما يفوق العواطف بأي معنى عادي؛ فقد برهنت أنها لا تجتذب كثيرين بقدر ما تجتذب أولئك الذين يشاركونها في أسلوبها المتحمس للصوفية. كما ينقصها الاهتمام بأمور الحياة اليومية ومتابعة ما يحدث من تقدم في الفيزياء. وليس هناك شك في أن تعاليم أفلوطين شجعت محاولات الهروب من مشكلات العالم، وخاصة ذلك الظلم الذي ساد في عصره هو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

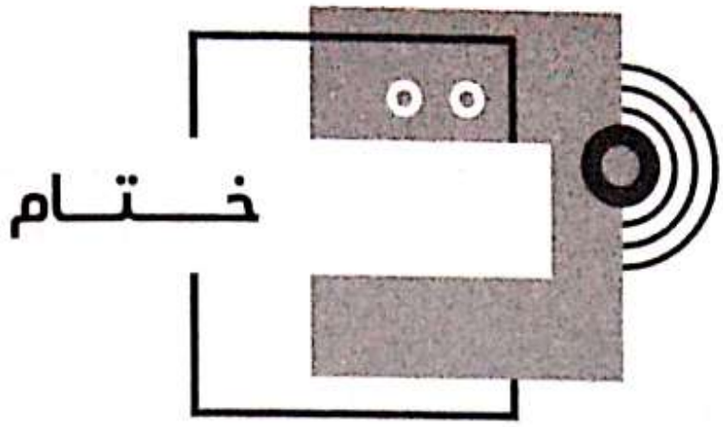

تصل الفترة الفاصلة ما بين مولد «طاليس» وموت «أفلوطين[1]» إلى ما يقرب من 900 سنة. وطوال تلك الفترة الزمنية كان علينا أن نبحث عن أصول ما يعد أهم شيء في الحضارة الغربية -وبصورة خاصة بالنسبة لتاريخ الإغريق الذين كانوا المخترعين الحقيقيين لكثير مما نقله أو ستخدمه الرومان أو غيرهم. ونحن مدينون للإغريق بالكثير؛ مثل:

- النظريات الميتافيزيقية
- التأمل
- بعض العلوم البحتة
- الفلك ونظام الكون
- الاستكشافات الرياضية

(1) - طاليس هو أول من تحدث عنهم ورنر في هذا الكتاب من الفلاسفة وأفلوطين هو آخر من تحدث عنه. (المترجم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- تحليل المفاهيم الأخلاقية
- الفلسفة السياسية
- الفلسفات السلوكية العظيمة

كل ذلك بالإضافة إلى انجازات حققوها في الأدب والفنون. لكن لعل ما هو أقيم من كل ذلك وأكثر شمولاً هو ذلك الاقتناع بأن المشكلات لابد لها من حل ولابد أن تحل. وأن الأسئلة لابد أن تجد إجابات. وبتحقيق التقدم عن طريق عمل «العقل البشري» والاقتناع بأن الوضوح في الفكر والدقة في الجدل لا يزالا أفضل سلاحين يمكننا استخدامهما في اشباع مطالبنا ورغبتنا في المعرفة. وقد يكون من الخطأ التفكير في أن هذا الاقتناع يعتبر بطريقة ما أمرًا طبيعيًا عند جميع البشر. ومن المحتمل أن تكون السلطة والتقاليد والعادات والخرافات والإيمان بالتفكير الخاضع للرغبة قد لعبوا دورًا أكبر في تقدير المعتقدات وسلوك الكائنات البشرية.

Telegram:@mbooks90

لقد كان إغريق القرون الأولى أشبه بجزيرة صغيرة في بحر أطلق عليه اسم بحر البربرية. كانوا يظنون أنهم نوعية مختلفة من البشر، وليس من الصعب علينا أن ندرك أنهم كانوا على صواب بشكل ما. أما ذلك الاختلاف الرئيسي الكبير فكان يتضح جليًا في إيمانهم بوضوح الجدل والتفكير. وكان من الطبيعي أن يجري مفكروهم الأوائل أبحاثًا جريئة. ولم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمر وقت طويل حتى استطاعت ضغوط الحياة أن تكبح نشاطهم الفكري إلى حد ما. مما ردهم إلى الوعظ الذي تسود فيه الناحية الأخلاقية، ثم عادت بعد فترة إلى خرافات قديمة وأنواع من الصوفية.

لكن وعلى أي حال تظل هناك حقيقة هي أنه وفي ذلك الركن من العالم الذي عاش فيه الإغريق؛ قام مركز لقوة فكرية مبدعة، وكان لهذا المركز تأثيره الكبير وظل يؤثر في تاريخ الغرب حتى وقت قريب. وهذه الحقيقة غير العادية لا تحتاج إلى تقديم وشرح شامل. لكن -وعلى أي حال- الأهم من إيضاح تلك الحقيقة هو أن علينا أن نتذكر ونتعلم ونقدر، وإن كان هناك شيء آخر يجب أن نذكره، فهو بالتأكيد دور الإنسان المتحضر في التعرف على بناة حضارته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المترجم: أكرم مؤمن

خريج جامعة عين شمس عام 1982م.

يعمل بالترجمة منذ تخرجه وحتى الآن.

عمل بالمعاهد الصحية العليا بوزارة الصحة في المملكة العربية السعودية في الفترة بين 1984-1996م وفي تلك الفترة تولى أعمال تدريس اللغة الإنجليزية والترجمة واستخدام معامل اللغات الحديثة وإعداد المناهج.

يعمل حاليًا كبيرًا للمترجمين والمراجعين بمكتبه الخاص (1996م-الآن)، وهو يقدم أعمال الترجمة التحريرية والمعتمدة للكثير من الهيئات والشركات.

يتولى أعمال الترجمة التحريرية (من وإلى اللغة الإنجليزية) الخاصة ببعض المؤتمرات واللقاءات الدولية التي تعقد بالقاهرة وذلك بتكليف من الهيئات أو المنظمات ذات العلاقة.

عضو مؤسس في جمعية المترجمين واللغويين المصريين وأول مترجم معتمد منها؛ وعضو الجمعية الدولية للمترجمين العرب.

ترجم عدة كتب ودوريات ومجلات وتقارير خاصة بهيئات ومنظمات عالمية، منها الأمم المتحدة والبنك الدولي واليونسكو واليونيسيف وغيرها وذلك في مجالات سياسية واقتصادية وتعليمية واجتماعية.

أعد المادة العلمية لعدد من برامج الحاسب الآلي التعليمية التي أنتجتها شركات مصرية، وترجم لها العديد من المواد.

له مؤلفات عديدة (أكثر من 120 كتاب) في مجالي تعليم اللغة الإنجليزية وتعليم الترجمة والكتب المترجمة عن الإنجليزية، منها ما يدرس في معاهد وكليات في جامعات مصر والدول العربية، وبعضها مصحوب بمواد سمعية تعليمية سُجلت على أقراص مدمجة CD تحت إشرافه.

akram_momen@hotmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

كلمة المترجم	3
ريكس ورنر	5
تصدير المؤلف	7
الفصل الأول: الفلاسفة السابقون لسقراط	9
الفصل الثاني: سقراط	47
الفصل الثالث: أفلاطون وأرسطو - الخلفية التاريخية	64
الفصل الرابع: أفلاطون	70
الفصل الخامس: أرسطو	108
الفصل السادس: بلاد الإغريق بعد أرسطو	123
الفصل السابع: تطوير آخر لنظرية الذرة	126
الفصل الثامن: المدرسة الرواقية	143
الفصل التاسع: مدرستان صغيرتان	153
الفصل العاشر:الفلسفة الإغريقية في ظل الإمبراطورية الرومانية	158
الفصل الحادي عشر: أفلوطين	163
ختـــام	170

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ريكس ورنر

فلاسفة الإغريق

Telegram:@mbooks90

ISBN 978-977-85868-2-4

الشاهد للنشر والتوزيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner